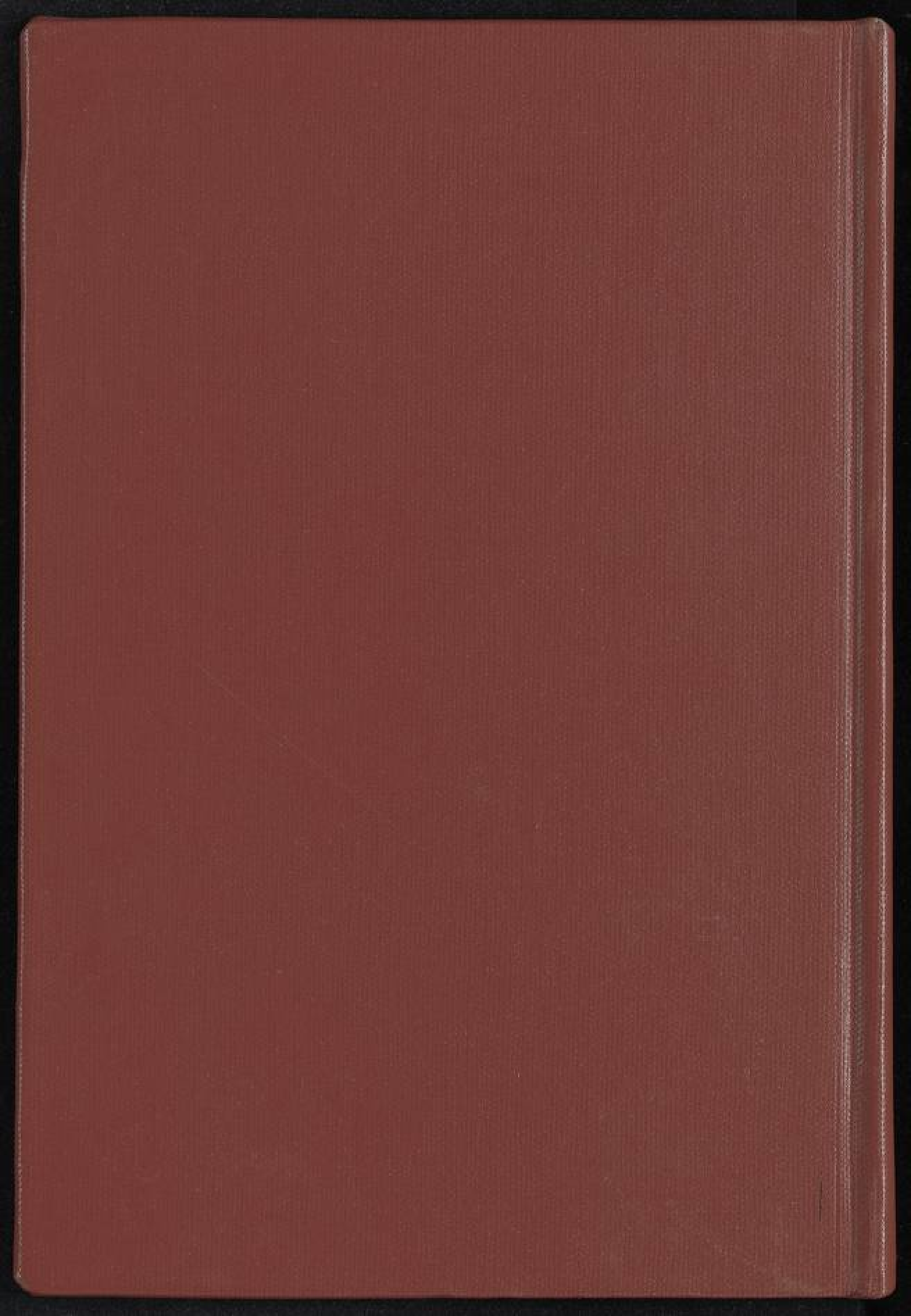
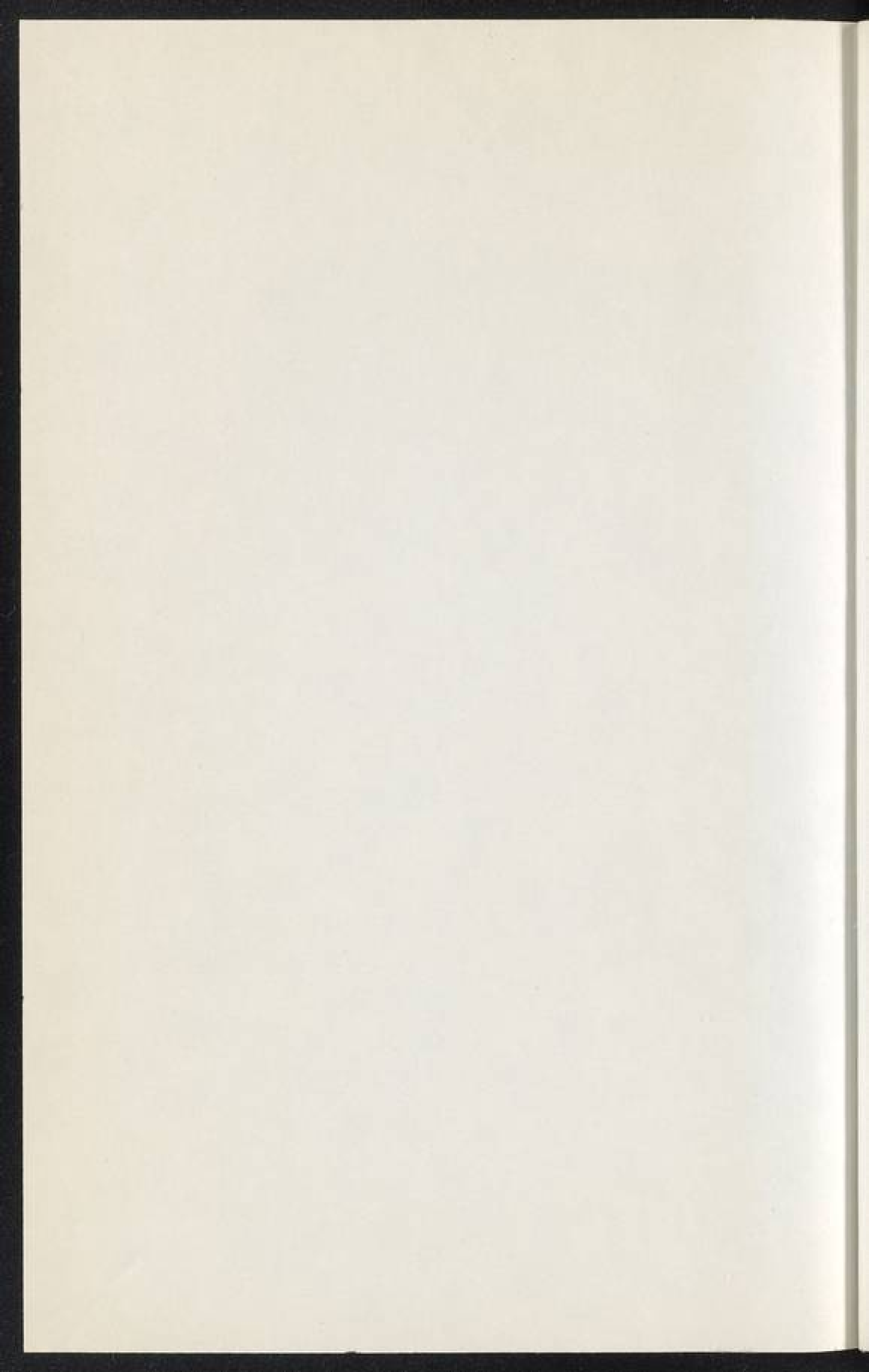
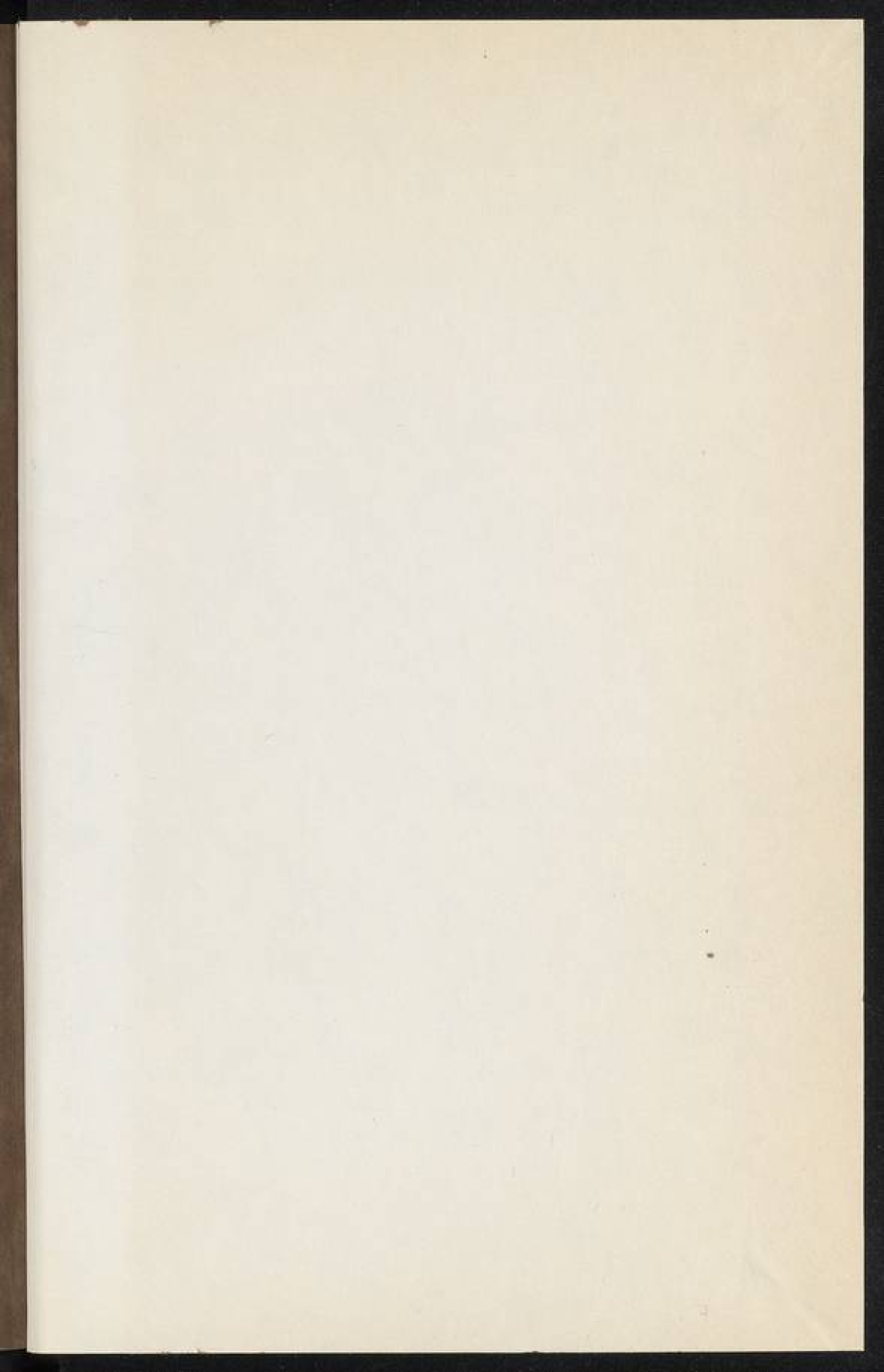










مآثر العرب في العلوم الطبية

للدكتور سامي حداد

عضو الكلية الجراحية الاميركية

واحد اساتذة العلوم الجراحية

بجامعة بيروت الاميركية

محاضرة تليت في جمعية «العروة الوثقى» بالجامعة

مطبعة الريحاني ـ بيروت ١٩٢٦

Haddād, Sāmī
/Ma'āthir al-'Arab fī al-'ulūm al-tibbīyah/

مآثر العرب في العلوم الطبية

NOF in CLSI

للدكتور سامي حداد

عضو الكلية الجراحية الاميركية
واحد اساتذة العلوم الجراحية
بجامعة بيروت الاميركية

محاضرة تليت في جمعية «العروة الوثقى» بالجامعة

مطبعة الريحاني - بيروت ١٩٢٦


BOBST
SERIALS
MAR 17 1918

تمهيد

ان هذه الرسالة التي نضعها الآن بين ايدي القراء نشأت كمحاضرة القيت في قاعة «وست» في جامعة بيروت الاميركية بدعوة من جمعية العروة الوثقى التي نظمت لهذا العام الدراسي سلسلة محاضرات في موضوع : «مآثر العرب في العلوم»، فكانت محاضرتنا: «مآثر العرب في العلوم الطبية» الحلقة الاولى من تلك السلسلة.

ثم شاءت جمعية العروة الوثقى ان تعمم فائدة هذه المحاضرات وتحفظها بشكل يؤمن بقاءها ويسهل مراجعتها وذلك بان تنشرها في عدد خاص من مجلتها «العروة». فعدنا عند ذلك الى محاضرتنا واخذنا نتوسع في بعض اقسامها الهامة فنفصل ما كان مجملاً ونسهب فيما كان موجزاً ونستخرج من مخطوطاتنا الخاصة الادلة والشواهد على اقوالنا الى ان بلغ بنا البحث الى الغاية التي تظهر في هذه الرسالة.

ولسنا ندعي اننا وفينا هذا البحث حقه من الدرس والاستقصاء. ذلك لان الموضوع متعدد النواحي متشعب الاطراف، ومصادره صعبة المأخذ بعيدة المنال : فالمطبوع منها قليل نادر، والمخطوط لا يزال مشتتاً في مكاتب العالم ومتاحفه. فلسنا نطمع اذن في ان تكون هذه الرسالة اكثر من مقدمة عامة لهذا الموضوع الواسع : فان ارشدت الادباء الى بعض نواحي هذا الموضوع الحرية بالدرس، وان اثارت اهتمامهم في تراثنا العلمي العظيم، تكون قد حققت الغاية المرجوة والامل المنشود.

فهرس الكتاب

مقدمة

حلم الاسكندر في القرن الرابع قبل الميلاد حلماً رام تحقيقه ووضع نصب عينيه هدفاً سعى اليه. فغلب اليونان وضمهم اليه. ثم قهر فارس وسوريا وفلسطين ومصر والعراق والهند. وانشأ المدارس والمكاتب في كل بلد حلّ فيها. واسس مدناً جديدة منها الاسكندرية ودعا اليها خيرة اساتذة اليونان من كل صوب وحدب وعزز العلوم اليونانية ما استطاع الى ذلك سبيلاً. وكان غرضه في ذلك ضم العالم باسره تحت لواء واحد يصطبغ بصبغة واحدة الا وهي الثقافة اليونانية معبودته التي رضع لبانها في طفولته.

الا ان الاسكندر مات قبل ان يحقق امنيته وتجزأت امبراطوريته بعد موته ثم عقبتها الامبراطورية الرومانية التي اقتبست الثقافة اليونانية فاحيتها زمناً الى ان سقطت رومية في ايدي الفاتحين فانطفأ مصباح تلك الثقافة في اوروبا وظلت في ظلام دامس اجيالاً حتى قيض الله لها ان يعود نور الثقافة اليونانية اليها ولكن عن طريق الشرق وعلى يد العرب. فالفضل في تحقيق حلم الاسكندر اذاً يعود الى العرب.

فالعرب هم الذين غلبوا الامم وضموها تحت لوائهم وانصرفوا بكليتهم الى العلم والعمل فيه فجمعوا شتاته . ودرسوا علوم اليونان وترجموا كتبهم الى لغتهم التي اصبحت لغة الثقافة الحية واضافوا الى تلك العلوم كل ما رأوه حسناً ومفيداً مما اقتبسوه من سائر الامم واعادوا النظر في هذا المجموع فهذبوه ونقحوه وجعلوا منه ثقافة جديدة ذات حلة انيقة فاقت اذ ذاك ثقافات سائر الامم التي اتت قبلهم او عاصرتهم.

ومما يذهل العقول سرعة تقدم هذه الثقافة وانتشارها. فبعد ان كانت العرب قبائل رُحلاً امية جاهلة فانهم خرجوا من الظلمة الى النور ومن البداوة الى الحضارة بمدنية واسعة الارجاء اذاعوها من الهند شرقاً الى الاندلس غرباً. وصارت هذه الثقافة نبراساً اضيئت به دياجير الجهل الذي كان يختبط فيه الغرب في القرون الوسطى واصبحت اساساً بنيت عليه الثقافة الاوروبية الحاضرة.

ومن مظاهر هذه الثقافة العلوم الطبية التي بلغت على ايدي العرب شأواً بعيداً من التقدم.

العهد الجاهلي

حبا الله الانسان فطرة غريزية يستعين بها على حفظ كيانه وحفظ نوعه. فهو بطبيعته طبيب نفسه يعمل على حفظ صحته ودرء الضار عنها واستعمال النافع لها. وقد كان للعرب في الجاهلية حظ وافر من هذه الفطرة التي تهذبت بما اكتسبت من المدنيات المجاورة بحكم الاختلاط والتبادل. فالبلاد العربية واقعة بطبيعتها في وسط عريق بالمدنية. وكانت صلة الوصل بين هاتيك المدنيات. فتجارة الهند والصين انتقلت في بحر فارس الى بلاد اليمن واليمنيون حملوها الى الحبشة ومصر وفينيقية وفلسطين وبلاد العرب.

وكانت العرب تتكلم لغة لم تختلف كثيراً عن لغات الامم المجاورة. فان اللغات السامية كانت يومئذ متقاربة لفظاً ومعنى وبها كانوا يتفاهمون فيما يظهر كما يتفاهم اليوم الحجازي والسوري والمصري والمغربي باللغة العربية.

فبمقتضى هذا الجوار والاختلاط اخذ العرب عن جيرانهم كثيراً من العلوم الطبية واضافوه الى ما اكتسبوه بالاختبار فكان منهم الاطباء والطبيبات. وهذه آثارهم بلغتهم واشعارهم تشهد لهم وتدل على طبهم بالجاهلية.

ومن اطباء الجاهلية ابن حذيم الذي قال عنه ضياء الدين ابن الاثير الجزري انه كان طبيباً حاذقاً يضرب به المثل فيقال: «اطب من ابن حذيم»

ومن اشعارهم :

ان رأس الطب ان يد لك بالزئبق دلكا
باطن الرجلين عند النوم يُنفى السقم عنكا

وايضاً :

ما كان في الرأس لخرجه بغرغرةٍ
فالقيء يخرج ما في الصدر من عفنِ
وكل ما كان في صلب فذلك لا
يسيل الا باخلاط من الحقنِ

ولا يبعد ان يكون العرب انفسهم هم الذين نقلوا الطب من الهند والصين ومصر وبلاد الكلدان والى الفرس واليونان والرومان. فهذب هوءلاء ما وصل اليهم عن هذه الطريق وكتبوه وعاد العرب بدورهم بعد اجيال وبعد ان صار عندهم لغة مكتوبة فاخذوه منهم كما سنرى.

العصر النبوي

وما كانت العرب في الجاهلية لتجمعهم جامعة ما. فانهم كانوا قبائل متفرقة متنافرة تغزو القبيلة الواحدة اختها الاخرى حتى قام النبي العربي فجمع شتات هاتيك القبائل ووحد صفوفها وهذّب اخلاقها وانار ابصارها وعزز لغتها ووضع امامها هدفاً شريفاً تسعى اليه. فاستفاقت من غفلتها ونفضت عنها غبار التحاسد والتباعد. وهبت هبة الرجل الواحد تعدو الى الامام لا يثنيها عن عزمها صعوبة ولا يقف في وجهها عقبة. فتبارت في اصابة الهدف والوصول الى ضالتها المنشودة الا وهي جمع شملها وتوحيد كلمتها ونشر الثقافة العربية في البلدان التي افتتحتها.

والبلدان التي خضعت للفتح الاسلامي وان كانت آنئذٍ عريقة في الحضارة والمدنية فان الاختلافات والنزعات الدينية اضاعت رشدها وفرقت كلمتها وكادت تذهب بمدنياتها. فجاءت النهضة العربية وجمعت شتات هاتيك المدنيات وافرغتها في قالب جديد هو المدنية العربية.

كان في آسيا الصغرى معاهد طبية عديدة ودور لمعالجة المرضى واهم من تعلم وعلم فيها النساطرة اتباع نسطور الذي كان بطريقاً مسيحياً في القسطنطينية سنة ٤٢٨م واخرج من الكنيسة المسيحية لمخالفته بعض عقائدها ونفي مع اتباعه الى انطاكية ثم الى معان ثم الى صعيد مصر وتوفي

سنة ٤٥٠ م· وتشتت اتباعه في اقاصي البلاد فرحل بعضهم الى نصيبين وادیسا ووصل البعض الاخر الى فارس والهند والصين وقد تركوا اثراً في كل بلدٍ حلوا فيها·

فاقاموا في انطاكية ونصيبين وادیسا وجنديسابور (١) مدارس وبيمارستانات (٢) تعهدوها بكل حكمة وعناية· وبلغت جنديسابور ذروة المجد والازدهار في ايام كسرى انوشروان اعظم ملوك الدولة الساسانية الذي حكم من سنة ٥٣١ الى سنة ٥٧٩ م·

وفي ذلك العهد احتكت الآراء الصينية والهندية والفارسية بالآراء المسيحية السريانية والنسطورية والعبرية فانبتت غرساً قطف ثماره العرب·

وكانت العرب في صدر الاسلام قد شغلتها العلوم الدينية عن سائر العلوم الاخرى، حاشا صناعة الطب فانها كانت موجودة عند البعض من افرادهم غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس طراً اليها· وزاد شغفهم بها والسعي وراء ادراك كنهها لما كان عندهم من الاثر في حث النبي عليها· حيث قال: «يا عباد الله تداووا فان الله عزّ وجلّ لم يضع داء الا وضع له دواء الا واحداً وهو الهرم·»

(١) بناها شابور الاول احد الملوك الساسانيون لزوجته (٢) البيمارستان لفظ فارسي مؤلف من بيمار اي مريض وستان اي محل· عربه العرب الى مارستان

وكان في طليعة الاطباء في عهد النبي الحرث بن كلدة الثقفي (١) وابنه النضر (٢). والحرث كان يضرب بالعود ثم سافر الى جنديسابور ودرس الطب فيها وله حديث مشهور مع كسرى انوشروان واقوال اخرى مشهورة وقد ادرك الحرث الاسلام واسلم وبقي الى ايام ابي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان وعلي ومعاوية. ومن معاصريه ابن ابي رمثة التميمي (٣)

عصر الخلفاء الراشدين

قد اقتفى الخلفاء الراشدون اثر الرسول بحض الناس على العمل على حفظ صحتهم والتداوي في حالة مرضهم. وتنسب لهم اقوال قيمة ومواعظ كثيرة تظهر اهمية ذلك. فمن اقوال الامام عمر بن الخطاب «مد من اللحم كمد من الخمر» ومن اقوال الامام علي بن ابي طالب «من ابتدأ غذاءه بملح اذهب الله عنه سبعين نوعاً من البلاء».

وقد التفتوا هم انفسهم الى الطب واستشاروا الاطباء في حالات امراضهم من ذلك انه لما ضرب ابو لؤلؤة مولى المغيرة بن شعبة الامام عمر بخنجر له رأسان ست ضربات احداهن تحت سرته دعي له طبيب من بني حرث بن كعب فسقاه نبيذاً فخرج غير متغير فسقاه لبناً فخرج كذلك ايضاً فقال له

(١) ابن ابي اصيبعة ١ : ١٠٦ — ١١٢ (٢) ايضاً ١ : ١١٢ — ١١٦ (٣) ايضاً ١ : ١١٦

«اعهد يا امير المؤمنين» قال «قد فرغت» (١)٠ فقد استدل الطبيب من ذلك ان الضربة قد فقرت معدة الامام عمر ولا حيلة في برئه وانه ميت لا محالة٠

عصر الخلفاء الامويين

ان عالم هذا العصر الاكبر بل فيلسوفه هو ابو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان الاموي حكيم آل مروان وعالم قريش الذي زهد في الخلافة وعشق العلم٠ وامر باحضار جماعة من الفلاسفة اليونان الذين كانوا بمصر وتعلموا العربية وامرهم بنقل الكتب في علم الكيمياء من اللسان اليوناني والقبطي الى العربي٠ وكان بصيراً بالطب اخذه عن يحيى النحوي واخذ الكيميا عن مريانس الرومي واتقن هذين العلمين والف فيهما وله رسائل وكتب في غير هذه الفنون ايضاً تدل على معرفته وبراعته٠ وكان جواداً ينفق بسخاء على جمع الكتب وترجمتها وقد جمعت له اول دار كتب في العالم العربي بدمشق (٢) وقد توفي ابو هاشم بحلب سنة ٨٥ هـ٠

قد كان للعرب اتصال تام بالمدنية اليونانية في هذا العصر٠ زد على هذا ما ذكر عن اهتمام خالد بن يزيد في درس الثقافة اليونانية ونقلها الى العربية

(١) الكامل لابن الاثير ٣ — ٢٤

(٢) ذكر ابن القفطي في تاريخ الحكماء ص ٤٤٠ عن كرة نحاسية كتب عليها «حملت هذه الكرة من الامير خالد بن يزيد بن معاوية»٠ اليس هذا دليل واضح على اهتمام الامير بالعلم؟

فان العرب كان لهم اتصال تام مباشر بهذه الثقافة في الاسكندرية نفسها عندما فتحها عمرو بن العاص. وكان يحيى النحوي لا يزال حياً فدخل على عمرو فاكرمه عمرو حين سمع منه من العلم والفلسفة ما فتنه وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه حتى كان لا يفارقه.

وكان يحيى احد اعضاء اللجنة السبعة(١) الذين رتبوا كتب جالينوس الستة عشر وجعلوها دستوراً لطلاب الطب في الاسكندرية.

وقد ترجم العرب هذه الكتب الستة عشر وجعلوها دستوراً لطلاب الطب منهم (٢). وعندي ان هذه من اهم الصلات التي كانت للعرب بالطب اليوناني. وكان يحيى النحوي من اكبر اساتذة علم الطب في عصره. والف فيه كتباً عديدة لا شك في ان العرب قد انتفعوا بها كثيراً.

---

(١) ذكر ابن النديم في الفهرست (ص ٧) اربعة من هؤلاء الاسكندرانيين وهم اصطفن وجاسيوس وانقيلاوس وماريئوس. قال انه لا يعرف اوقاتهم على صحة. وهم ممن فسر كتب جالينوس وجمعها واختصرها واوجز القول فيها وسيما كتب جالينوس الستة عشر. وزاد على ذلك ابن القفطي (تاريخ الحكماء ص ٧١) «وكان انقيلاوس هذا رئيسهم حتى ان اكثر الناس ينسبون الجوامع اليه وقد ذكر هذا حنين بن اسحق في نقله لها من اليوناني الى السرياني» وزاد على ذلك ابن ابي اصيبعة (في طبقات الاطباء ١ : ١٠٢) ان الاسكندرانيين الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشر وفسروها كانوا سبعة وهم اسطفن وجاسيوس وثاودوسيوس واليلاوس وانقيلاوس وفلاديوس ويحيى النحوي. وكان هؤلاء الاسكندرانيون يقتصرون على قراءة الكتب الستة عشر لجالينوس في موضع تعليم الطب بالاسكندرية. وعمر من هؤلاء الاسكندرانيين يحيى النحوي الاسكندراني الاسكلاني حتى لحق اوائل الاسلام. (٢) توجد نسخة من هذه الترجمة في المتحف البريطاني تحت رقم ١٢٥٦ عنوانها جوامع الاسكندرانيين لكتب جالينوس في الطب.

ومن علماء اليونان المعاصرين لهؤلاء الاسكندرانيين جماعة نقل العرب عن مؤلفاتهم. منهم فولس الاجنطي وشمعون الراهب المعروف بطيبويه ومغنس الحمصي(١)والقس اهرن بن اعين صاحب الكناش المعروف باسمه الفه باللغة السريانية ونقله ماسرجيوس الى العربية. ويوحنا بن سرابيون وولداه يوحنا وداود. وسرابيون بن يوحنا الذي نقل عنه الرازي في كناشه الفاخر وسرجيوس الرأسعيني وغيرهم ممن لا مجال لذكرهم.

وفي القرن الثاني للهجرة كانت زمرة صالحة من الاطباء مختلفة المذاهب منهم الحكم بن ابو الحكم الدمشقي المار ذكره. وابنه عيسى المشهور بمسيح صاحب الكناش الكبير. وثيادون وكان في اول دولة بني مروان واشتهر عندهم في الطب. ثم عبد الملك بن ابجر الكناني كان طبيباً ماهراً يقيم في اول الامر في الاسكندرية حيث تولى التدريس بها بعد الاسكندرانيين. ولما تولى المسلمون الملك فيها اسلم على يد عمر بن عبد العزيز فاستطبه واعتمد عليه. ولما افضت الخلافة الى عمر وذلك في صفر سنه ٨٩ هـ. نقل التدريس الى انطاكية وحران (٢) وتفرق العلم في البلاد. وكان عمر بن عبد العزيز يستطب ابن ابجر ويعتمد عليه.

(١) صاحب كتاب في البول ترجم الى العربية ونقله الى الالمانية الدكتور عمر سلامه خريج جامعة ليبسك. (٢) ابن ابي اصيبعة ١ : ١١٦

العصر العباسي

نرى مما تقدم ان الثقافة العربية رافقت الفتوحات التي قام بها العرب وذهبت معهم اينما ذهبوا وقد تعززت بتعزيز السياسة ونهضت بهمم ذوي العزائم من الخلفاء والامراء والحكام في كل دولة وعصر. وذلت وتدنت بذل الحكام وافول نجمهم.

ولما ادال الله للهاشمية وصرف الملك اليهم كانت العرب قد نضجت عقولهم ورقت طباعهم واخذت نفوسهم تصبو الى الدرس والاطلاع فثابت الهمم وهبت الفطن سعياً وراء العلوم والفلسفة. فامتاز القرن الاول من هذا العصر حتى لقب بالعصر الذهبي. وكادت الدولة العباسية تضاهي الدولة الرومانية ايام اكتمالها وزمان اجتماع شملها (١). فازدهى العلم وفي مقدمته الطب وتالق نجمه في سماء بغداد وسطع نوره على ما جاورها من البلاد وتبارى الخلفاء في جمع شتات العلوم باسرها ورغبوا في تعميم نفعها. فاستدعوا رهطاً من العلماء والاطباء من جنديسابور وغيرها من البلدان فطبوا لهم ونقلوا كتب الطب وسواه من العلوم وترجموها الى العربية بكل دقة وامانة. ففاقت الترجمات الاصل رونقاً وترتيباً.

---

(١) طبقات الامم ص ٤٩

وكان اول من عني منهم بذلك الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور فكان رحمه الله مع براعته في الفقه كلٌ في علم الفلسفة وخاصة في علم النجوم. وهو اول من استقدم الاطباء من جنديسابور. فانه مرض يوماً ولم يوفق اطباؤه في علاجه فقيل له ان بجنديسابور طبيباً ماهراً يرأس المارستان وله مصنفات جليلة يدعى جورجيوس (١) بن جبرائيل. فانفذ المنصور يطلبه فحضر واستلم معالجته فنال الشفاء على يده.

وفي عهد الرشيد وصلت بغداد بعلومها ومعارفها الى قمة مجدها وفخارها. فصارت قبلة طلاب العلم من جميع الامصار. وقد اجتمع فيها الاطباء من سائر الاقاليم وغصت المدارس بالتلامذة وطلاب الطب حتى قيل انه وجد فيها الف طالب في وقت واحد. وقد شيد بيت الحكمة (٢) وجمع فيه الوفا من الكتب.

ثم لما افضت الخلافة الى الخليفة السابع وهو عبد الله المأمون ابن الرشيد وحفيد المنصور. تمم ما بدأ به ابوه وجده واقبل على طلب العلم في

(١) جورجيوس هذا اول طبيب من عائلة بختيشوع التي خدمت الدولة العباسية نحو ثلاثة قرون من سنة ١٤٨ — ٤٥٠ ه. وهذه العائلة مؤلفة من جورجيوس وابنه بختيشوع وابنه جبرائيل وابنه بختيشوع وجبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع وابنه عبيد الله. وطبوا للمنصور والرشيد والامين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمقتدر وملوك بني بويه. وقد تركوا آثاراً تدل على سعة علمهم وادبهم. ولعبيد الله بن جبرائيل كتاب الروضة الطبية اعتنى بطبعه القس بولس سباط سنة ١٩٢٧

(٢) وبرواية اخرى ان بيت الحكمة شيد في عهد المأمون.

مواضعه واستخرجه من معادنه بعلو همة منيفة وقوة نفس شريفة. فداخل ملوك الروم واتحفهم بالهدايا الخطيرة وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة. فبعثوا اليه بما حضرهم من كتب افلاطون وارسطاطاليس وابقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة. فاستخار لها مهرة التراجمة وكلفهم احكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما امكن. ثم حضّ الناس على قراءتها ورغبهم في تعليمها فنفقت سوق العلم في عصره وقامت دولة الحكمة في زمانه وتنافس اولو النباهة في العلوم لما كانوا يرون من احصائه لمنتحليها واختصاصه لمتقلديها. فكان يخلو بهم ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم. فينالون عنده المنازل الرفيعة والمراتب السنية والعطايا الجزيلة.

ولم تكن هذه العناية قاصرة على المأمون فحسب بل كان في عهده جماعة من ذوي اليسار حذوا حذوه واعتنوا عناية فائقة بنقل الكتب الى العربية. فكثرت حركة الترجمة وكثر المشتغلون بها.

وفي مقدمة المترجمين افراد اسرة بختيشوع وقد مرّ الالماع اليهم وغير هؤلاء يوحنا بن ماسويه(١) الذي خدم في صناعة الطب هارون الرشيد والمأمون وبقي الى ايام المتوكل. وقد قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة التي وجدت

(١) ابن ابي اصيبعة ١ — ١٧٥

بانقره وغيرها من بلاد الروم حين الفتح الاسلامي · وله تآليف عظيمة القدر ·

ويعقوب بن اسحق الكندي (١) فيلسوف العرب واحد ابناء ملوكها · كان عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم وعند ابنه احمد (٢) وكان عالماً في الطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتاليف اللحون والهندسة وطبائع الاعداد وعلم النجوم ·

ومن اشهر المترجمين والنقلة حنين بن اسحق العبادي (٣) الذي كان يتقن العربية والفارسية والسريانية · وقد درس الطب على يوحنا بن ماسويه ولسوء تفاهم وقع بينهما تركه وسافر الى بلاد اليونان والاسكندرية وهناك درس اللغة اليونانية وما رجع الى بغداد الا وقد اتقنها · فالف مجلساً للترجمة رأسه بنفسه وكان يراجع ترجمات سائر المترجمين وينقحها · ومما يحكى عنه ان المأمون كان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربية مثلاً بمثل · وقيل ان حنيناً سافر الى اقصى البلاد بطلب الكتب التي قصد نقلها · فله التاريخ المجيد واليد الطولى في وضع اسس الطب العربي بادخال الطب اليوناني اليه · فهو الذي ترجم كتب بقراط ابي الطب وكتب جالينوس الستة عشر المار ذكرها وشرح كل ذلك شرحاً مسهباً ولخصه احسن تلخيص ·

(١) ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٠٦ وطبقات الامم ص ٥٢ (٢) ايضاً ١ : ٢٠٧ (٣) ايضاً ١ : ١٨٤

وكان حنين شديد الامانة في نقله وترجمته وذلك لانه اجاد معرفة اللغتين العربية واليونانية· وله تآليف بارعة وموضوعات قيمة نفيسة (١)· وكان له اكثر من تسعين تلميذاً عاونوه في الترجمة والنقل منهم ابن اخته حبيش الاعسم وعيسى بن علي وعلي بن يحيى وايوب الابرش والحجاج بن مطر وسرجيس الرأسعيني وابنه اسحق وكثير غيرهم· وقد طب للرشيد والامين والمأمون وخدمهم خدمة صادقة وكان مولده سنة ١٩٤ هـ· وتوفي سنة ٢٦٦ هـ·

ومن المترجمين المجيدين ابو الحسن ثابت بن قرة الحراني (٢) الصابئ الذي خدم المعتضد بالله ولم يكن في زمانه من يماثله في صناعة الطب ولا في غيرها من جميع اجزاء الفلسفة· وتصانيفه مشهورة بالجودة (٣)· وجاء بعده جماعة كثيرة من ذريته ومن اهله يقاربونه فيما كان عليه من المهارة وحسن التخرج في العلوم وكان ماهراً في علم الفلك والنجوم· وكان جيد النقل الى العربية حسن العبارة قوي المعرفة باللغة السريانية وغيرها· وكان مولده سنة ٢١١ هـ· وتوفي سنة ٢٨٨ هـ·

---

(١) تاريخ حنين بن اسحق ومؤلفاته بالانكليزية للدكتور لطفي سعدي (٢)؛ ص ١: ٢١٥

(٢) من جلة تاليفه الطبية كتاب الذخيرة اعتنى بطبعه الدكتور ج صبحي سنة ١٩٢٨ عن نسخة خطية فريدة موجودة بالمكتبة البطركية القبطية بالقاهرة· وقد توفقنا الى نسخة خطية اخرى موجودة بمكتبتنا

وابنه ابو سعيد سنان(١)وخدم المقتدر بالله والقاهر والراضي بالله. وله صفحة مجيدة في تاريخ الطب العربي بخدمته المارستانات في ايام المقتدر بالله سناتي على ذكرها بمناسبة الكلام عن المارستانات. ومات سنان سنة ٣٣١هـ.

وله ابن اسمه ثابت(٢)الف تاريخاً ذكر فيه الوقائع والحوادث التي جرت في زمانه من ايام المقتدر بالله الى ايام المطيع بالله. وليس لهذا التأليف من اثر.

وهناك آخرون من الصابئة خدموا الطب منهم ابو اسحق بن سنان وابو اسحق ابراهيم بن زهرون وابو الحسن بن ابراهيم بن زهرون وابن وصيف.

وقد ذكر ابن ابي اصيبعة في طبقاته ما ينوف عن سبعين طبيباً غير من ذكرنا طبوا للخلفاء العباسيين وخدموا الطب خير خدمة وتركوا اثراً دل على رسوخهم في العلوم الطبية ومن مؤلفاتهم ما هو جدير بالدرس وسنأتي على ذكر شيء منها في حينه.

فلهؤلاء النقلة ومن عاصرهم يرجع الفضل الاكبر في تربية غرسة الطب العربي التي غذوها بجدهم وثباتهم بترجمة الكتب من سائر اللغات ونقلها الى العربية.

---

(١) ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٢٠ (٢) ايضاً : ٢٢٤

ولم يقفوا عند هذا الحد بل واصلوا اعمالهم وروّوا هذه الغرسة بكدٍ ونشاط حتى انضجت ثماراً جيدة. فهم انفسهم الذين انتقلوا بالطب من عهد التحضير والاستعداد الى عهد النضوج والانتاج. وكانوا لما طبعوا عليه من الذكاء قد درسوا علوم الاولين بسرعة وشرعوا حالاً في التأليف والتصنيف. فلا يمكننا اذاً ان نضع حداً فاصلاً بين دور الاستعداد ودور الانتاج. لانه بينما كان قادة الافكار يدرسون الطب اخذوا بالوقت نفسه يؤلفون فيه ويزيدون على ما اخذوه عن السلف.

فالخلفاء اذا كانوا العامل الاكبر في تمهيد السبيل لرقي الطب وسائر العلوم ولم يألوا جهداً في تشجيع الاطباء ادبياً وامدادهم بالمال اللازم لكل مشروعٍ مفيد. فهم الذين رفعوا مستوى الطب والاطباء الى اعلى درجة من المكانة والرفعة واستوزروا البعض منهم وكان لهم عندهم مجدٌ عظيم.

وفي عهد الدولة العباسية نبغ جماعة من الاطباء والفلاسفة الفرس الذين عاونوا على تقدم العلوم وترقية الثقافة العربية اذ كانت اكثر مؤلفاتهم باللغة العربية وقد استخدم الخلفاء نفراً منهم اناطوا بهم ادارة المارستانات والمعاهد الطبية واعتمدوهم في معالجتهم ومنهم ابن ربن الطبري صاحب كتاب فردوس الحكمة (١) وابو بكر محمد بن زكريا الرازي (٢)

(١) ابن ابي اصيبعة ١: ٣٠٩ (٢) ايضاً ١: ٣٠٩

وابو منصور الحسن القمري (١) استاذ الشيخ ابن سينا (٢) والشيخ نفسه وابو الحسن احمد بن محمد الطبري (٣) والايلاقي (٤) وابن ابي صادق (٥) ونجيب الدين السمر قندي (٦) وكثير سواهم.

ولنا كلمة في ما آثر بعضهم وخدماتهم نذكرها في حينها.

الطب في المغرب والاندلس

قصر التاريخ عن ذكر احوال العلوم في الغرب ولم يف الاندلس حقها فقد ذكر ابن ابي اصيبعة في طبقاته بعضاً من اطباء المغرب والاندلس ولكن بصورة مختصرة لا تروي غليلاً وقد اخذ اكثره نقلاً عن كتاب طبقات الامم للقاضي صاعد الاندلسي وهذا ايضاً لزم الاختصار فيما ذكر. وكذلك المقري الذي الف كتاباً يقع في اربع مجلدات ضخمة عن تاريخ الاندلس يكتفي بايراد بضع جمل عن تاريخ الطب. مع ان الاندلس كانت المدرسة الكبرى التي درس الغربيون فيها الطب والمصدر الروي الذي استقوا منه العلوم باسرها. فالاندلس هي صلة الوصل بين الثقافة العربية والثقافة الغربية ولا يسعنا الا ان نثبت ما وصل الينا من تاريخ الثقافة العربية في المغرب والاندلس. وهنا كما في بغداد كان الرقي والتقدم السريع في عهد الخلفاء النشيطين الساهرين الذين نهضوا بالبلاد نهضة مباركة.

(١) ابن ابي اصيبعة ١ : ٣٢٧ (٢) ايضاً ٢ ـ ٢ (٣) ايضاً ١ ـ ٣٢١ (٤) ايضاً ٢ — ٢٠
(٥) ايضاً ٢ — ٢٢ (٦) ايضاً ٢ — ٣١

فانهم وان كانوا قد صرفوا هممهم في فتح البلدان واستتباب الامن والراحة والرفاه بين رعاياهم ما فتئوا يسعون الى تنشيط العزائم واستنهاض الهمم والحث على النهضة الفكرية والرقي العلمي ·

قال صاعد الاندلسي · « كانت الاندلس في الزمان القديم خالية من العلم لم يشتهر عند اهلها احد بالاعتناء به · · · · ولم تزل على ذلك · · · · · الى ان توطد الملك لبني امية · · · · · فتحرك ذوو الهمم منهم لطلب العلوم وتنبهوا لاشارة الحقائق · · · · · · ولما كان وسط المائة الثالثة من تاريخ الهجرة وذلك في ايام الامير الخامس من ملوك بني امية وهو محمد بن الحكم بن هاشم بن عبد الرحمن الداخل بالاندلس تحرك افراد من الناس الى طلب العلوم وما زالوا يظهرون الى قريب وسط المائة الرابعة (١) » ·

ومن اطباء المغرب وفلاسفتها الجديرين بالذكر ابن رشد وابن زهر وخلف بن العباس الزهراوي (٢) جراح العرب وابن جلجل وابن وافد واسحق بن عمران (٣) واحمد بن الجزار القيرواني (٤) ولكل منهم تآليف قيمة في الطب والفلسفة صارت اساساً فيما بعد للعلوم الطبية وغيرها في اوروبا في الاجيال الوسطى كما سنرى ·

(١) طبقات الامم لصاعد الاندلسي ص ٦٢ــ٦٤ (٢) صاحب كتاب التصريف لمن عجز عن التاليف سيأتي الكلام عنه في فصل خاص (٣) له كتاب في الماليخوليا ذكره الدكتور احمد شريف في كتابه الطب في المغرب باللغة الافرنسية **La Médecine Arabe en Tunisie** وهو كتاب قيم نلفت النظر اليه (٤) صاحب كتاب زاد المسافر ذكره الدكتور احمد شريف ايضاً ووصف الكتاب وصفاً مسهباً

المارستانات العربية

ادرك الخلفاء وسواهم من الذين اشتغلوا في الطب اهمية المشاريع الطبية والصحية كبناء المارستانات والمصحات والمعاهد الطبية والمكاتب وغيرها ولم يألوا جهداً في تحقيق ذلك. فاشادوا الكثير منها في عصور وادوار مختلفة. وصرفوا عليها بسخاء وخدمها الاطباء بكل نشاط وامانة ودبروا امورها بكل حكمة ودراية. وبذلك فاقت سواها من المعاهد التي سبقتها. وكان بعضها عمومياً لايواء المرضى على اختلاف امراضهم ونزعاتهم، وغيرها خصص للامراض السارية او العقلية. ومنها ما كان نقالاً يقوم بحاجات من كان بعيداً عن المدن الكبيرة ويتعذر عليه الوصول الى المارستانات العمومية للانتفاع بها. زد على ذلك انه وجد في العهد العربي مستوصفات وخزانات للشرابات والادوية كانت تجري فيها الاسعافات الاولية للحوادث الفجائية.

وكان لكل من هذه المعاهد اوقاف بصرف ريعها عليها. وانيطت ادارتها بالمديرين الاكفاء الذين انتخبوا من امراء البلاد او من قواد الجيش. واوكل امر التطبيب فيها لاطباء انتخبوا بعد الامتحان عن جدارة وكفاءة. وعين لكل منها طبيب وجراح وكحال وفاصد وخدمة

عديدون لتأمين راحة المرضى وخدمتهم· ولدينا ادلة وبراهين عدة على ان كلاً من الاطباء كان يعطى اجازة بعد الامتحان تجيز له العمل في دائرة اختصاصه·

وشيد اكثر هذه المعاهد في المدن الكبيرة كمكة والمدينة ودمشق وبغداد والقاهرة والقدس وانطاكية وسمرقند·

ولم تصل الينا الا اخبار قليلة عنها· وقد باد اثر اكثرها ولكن التحريات والحفريات الاخيرة قد كشفت عن بعض منها·

وبذلت العناية في انتقاء المواقع الصحية الملائمة لانشاء هذه المعاهد مع اعتبار قربها من الاماكن الآهلة بالسكان· ومن جميل ما ورد في هذا الشأن ان عضد الدولة عندما همّ بانشاء مارستانه الذي كان يعرف باسمه استشار الرازي في الموضع الذي يجب ان يبنى فيه· فامر الرازي بعض غلمانه ان يعلق في كل ناحية من نواحي بغداد شقة لحم ثم اعتبر الناحية التي لم يتغير ولم يسهك فيها اللحم بسرعة فاشار بان يبنى المارستان فيها وكان كذلك· (١)

ثم ان الملك المؤيد شيخ لما عزم على اقامة مارستان في القاهرة اختار لذلك ناحية مرتفعة من المدينة قرب التلة التي تعرف بتلة القلعة مطلة على التلة المدينة وقريبة منها وبنى بجواره جامعاً· وكان يصرف عليه من اوقاف

(١) ابن ابي اصيبعة ١ — ٣١٠

الجامع الذي بناه بباب زويلة. وقد اهتمت دائرة الاثار المصرية بالكشف عن الجامع والمارستان وابتاعت كل البيوت التي بجواره وهي جادة في عملية الكشف عن هذا الاثر التاريخي.

ومما هو جدير بالذكر ان اكثر هذه المعاهد كانت تشاد بالقرب من جامع ويقام بجوارها حمام وتكية. وكان يوجد في كل منها ماء جارٍ.

وقد تبارى الخلفاء والملوك في انشاء هذه المعالم ولذلك كانت تشاد على احسن ترتيب واتقان.

ولم يكن يراعى فيها غني او فقير، كبير او حقير. فانها فتحت ابوابها للجميع وكان الكل يعامل بالسواء كما سنوضح ذلك عند وصف كل منها على حدة

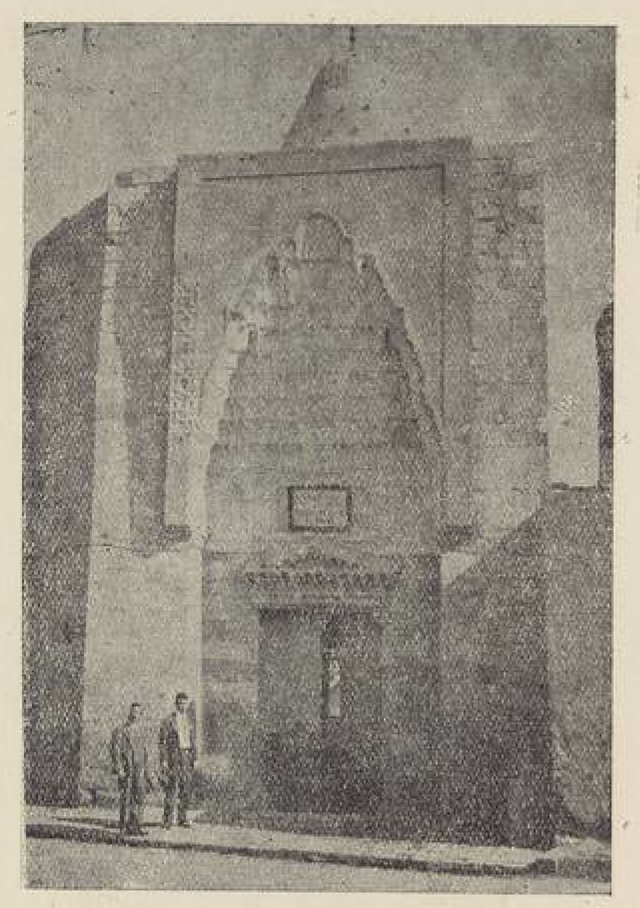
مارستانات دمشق

اول من اتخذ مارستانًا في الاسلام الوليد بن عبد الملك بدمشق سنة ٨٨ هجرية وجعل فيه الاطباء وحبس المجذّمين عن ان يخرجوا على الناس واجرى عليهم الارزاق (١).

المارستان النوري لا تزال ابنيته قائمة الى يومنا هذا ويعرف عند العامة بِ «المارستان». انشأه السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن

(١) صبح الاعشى ٤٢١:١ ، المقريزي ٢: ٤٠٥ ، الطبري ٨: ٦٦

زنكي سنة ٥٤٩ هـ. بالمال الذي اخذه رهينة من احد ملوك الافرنجة الذين

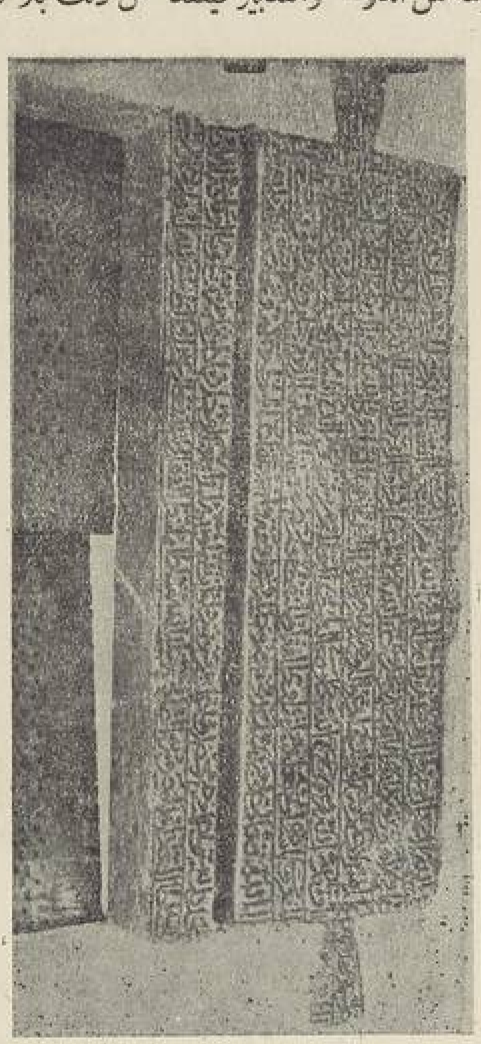


المارستان النوري

غلبهم وحبسهم (١) وقد عقد ادارته على ابي المجد بن ابي الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي واطلق له جامكية وجراية.

(١) المقريزي ٢ : ٤٠٨

وكان ابو المجد يدور على المرضى ويتفقد احوالهم ويكتب لكل مريض ما يلزمه من الدواء والتدبير فينفذ كل ذلك بلا تاخير. وبعد عيادة



افريز رخامي فوق مدخل الباب الداخلي للمارستان النوري

المرضى من الاعيان في القلعة كان يعود الى المارستان ويجلس في الايوان

الكبير فيأتي اليه جماعة من الاطباء والتلاميذ فيجري المباحث الطبية وينظر في الكتب مدة ثلاث ساعات ثم يعود الى داره (١) وقد وقف نور الدين على المارستان جملة كبيرة من الكتب الطبية·

وفوق الباب الداخلي للمارستان لوحة رخامية نقش عليها انه قد جدد ما كان تهدم من بنائه وبناء اوقافه في الايام السلطانية العادلية المنصورية الصالحية· وقد جعل الاتراك في اخر عهد حكمهم في البلاد السورية هذا المارستان مأوى للبنات اليتامى·

مارستانات القاهرة

مارستان الفسطاط (٢)· ذكر ابن دقماق الحنفي في كتابه الانتصار لواسطة عقد الامصار (٣) خبر هذا المارستان قال انه كان بشارع القناديل (او القنديل) قبالة دار عمرو بن العاص فاتح مصر· وقد بني في عهد بني اميه· ولا نعرف اكثر من ذلك عن هذا المعهد وللان لم تكشف حفريات الفسطاط عما يدل على موقعه او شيء اخر عنه·

مارستان المعافر (٤) بناه الفتح بن خاقان بالفسطاط في ايام امير المؤمنين

(١) ابن ابي اصيبعة ١ ــ ١٥٥ (٢) الفسطاط ــ مصر القديمة انظر صبح الاعشى ٢ ــ ٢٢٠ وكتاب حفريات الفسطاط (٣) مجلد ٤ ص ٩٩ (٤) ذكره المقريزي «معافر» ٢ ــ ٤٠٧ قابل ذلك صبح الاعشى ٢ ــ ٢٢٢

المتوكل على الله وذلك نحو سنة ٢٤٧ هـ٠ وقد باد اثره كالذي سبقه٠

مارستان احمد بن طولون وسمي مارستان الفسطاط الاعلى القديم٠ قال المقريزي (١) هذا المارستان موضعه الان في ارض العسكر وهي الكيمان والصحراء التي فيما بين جامع ابن طولون وكرم الجارح وفيما بين قنطرة السد التي على خليج ظاهر مدينة مصر وبين السور الذي يفصل بين القرافة وبين مصر وقد دثر هذا المارستان في جملة ما دثر ولم يبقى له اثر٠ وقال ابو عمر الكندي في كتاب الامراء وامر احمد بن طولون ببناء مارستان للمرضى فبني لهم في سنة ٢٥٩ هـ٠ وقال جامع السيرة الطولونية٠ وفي سنة ٢٦١ بنى احمد بن طولون المارستان ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان٠ ولما فرغ منه حبس عليه دار الديوان ودورة في الاساكنة والقيسارية وسوق الرقيق وشرط ان لا يعالج فيه جندي ولا مملوك وعمل حمامين للمارستان احدهما للرجال والآخر للنساء حبسهما على المارستان وغيره وشرط انه اذا جيء بالعليل تنزع ثيابه ونفقته وتحفظ عند امين المارستان٠ ثم يلبس ثياباً ويفرش له ويغدى عليه ويراح بالادوية والاغذية والاطباء حتى يبرأ فاذا اكل فرّوجاً ورغيفاً أمر بالانصراف وأعطي ماله وثيابه٠ وفي سنة ٢٦٢ هـ٠ كان ما حبسه على المارستان والعين والمسجد في الجبل الذي يسمى

(١) المقريزي ٢ ـ ٤٠٥ وكتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار ٤ ـ ٩٩

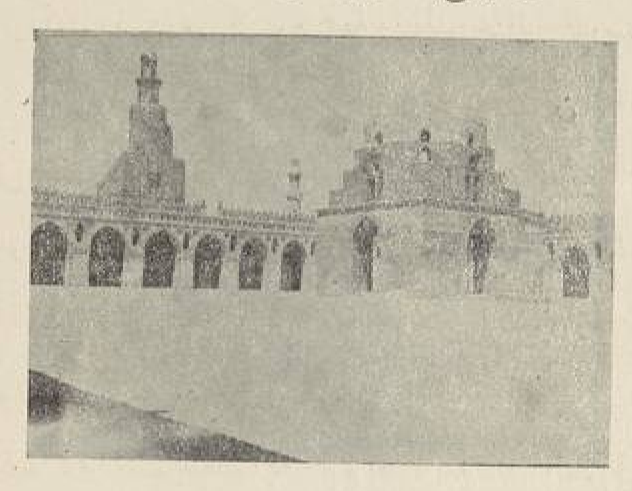
تنور فرعون وكان الذي انفق على المارستان ومستغله ستين الف دينار. وكان يركب بنفسه في كل يوم جمعة ويتفقد خزائن المارستان وما فيها والاطباء وينظر الى المرضى وسائر الاعلاء والمحبوسين من المجانين. فدخل مرّة حتى وقف بالمجانين فناداه واحد منهم مغلول. ايها الامير اسمع كلامي ما انا مجنون وانما عملت عليّ حيلة وفي نفسي شهوة رمانة عريشية اكبر ما يكون فامر له بها من ساعته. ففرح بها وهزها في يده ورازها ثم غافل احمد بن طولون ورمى بها في صدره فنضحت على ثيابه ولو تمكنت منه لاتت على صدره. فامرهم ان يحتفظوا به. ثم لم يعاود بعد ذلك النظر في المارستان. وقد ذكر ابن ابي اصيبعة (١) ان محمد بن عبدون الجبلي خدم المارستان الطولوني.

وغير ذلك فان احمد ابن طولون انشاء اول مستوصف. وقد اشاده في موءخر الجامع ووضع فيه خزانة شراب فيها جميع الشرابات والادوية وجعل عليها خدم واقام فيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة (٢).

مارستان كافور الاخشيدي (٣) او المارستان الاسفل. انشأه كافور الاخشيدي واناط ادارته بدولة الاميرابي قاسم انوجور بن محمد الاخشيد في

(١) ابن ابي اصيبعة ٢ ـ ٤٦ (٢) المقريزي ٢ ـ ٤٠٥ (٣) المقريزي ٢ ـ ٤٠٦

سنة ٣٤٦ هـ. وذكر شيوخ المصريين المؤرخين ان هذا المارستان كان فيه



جامع ابن طولون

من الازيار والصيني الكبار والبراني والقدر النحاس والهواوين والطشوت وغير ذلك ما يساوي ثلاثة الاف دينار ونقل اليه من المارستان الاعلى الذي بناه بن طولون اضعاف ذلك (١).

المارستان الناصري ويعرف بالمارستان العتيق اقامه السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب لما اخذ مصر سنة ٥٦٧ وكان قبلاً قصراً بناه المعز في سنة ٣٨٤ ويقال ان فيه طلسما لا يدخله نمل وان ذلك هو السبب الموجب لجعله بيمارستاناً (٢) وقد وصف ابن جبير هذا البيمارستان في رحلته (٣) قال « المارستان

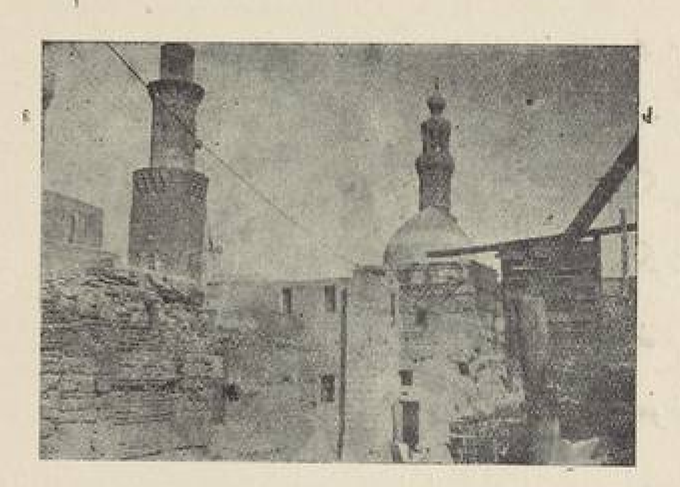
(١) الانتصار لواسطة عقد الامصار ٤ ـ ٩٩ (٢) صبح الاعشى ٣ ـ ٣٦٩ (٣) ورحلة ابن جبير ص ٢١

الذي بمدينة القاهرة هو قصر من القصور الرائعة حسناً واتساعاً ابرزه لهذه الغاية الفضيلة تأجراً واحتساباً وعين قيماً من اهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير ومكنه من استعمال الاشربة واقامها على اختلاف انواعها. ووضعت في مقاصر ذلك القصر اسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى. وبين يدي ذلك القيم خدمة يتكفلون بتفقد احوال المرضى بكرة وعشية فيقابلون من الاغذية والاشربة ما يليق بهم. وبازاء هذا الموضع موضع مقتطع للنساء المرضى ولهن من يكفلهن. ويتصل بالموضعين موضع آخر متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد اتخذت محابس للمجانين ولهم ايضاً من يتفقد في كل يوم احوالهم ويقابلها بما يصلح لها. والسلطان يتطلع هذه الاحوال كلها بالبحث والسوءال وبوء كد في الاعتناء بها والمثابرة عليها غاية التا كيد»

المارستان المنصوري. كان سبب بنائه ان الملك المنصور قلاوون لما توجه وهو امير الى غزاة الروم في ايام الظاهر بيبرس سنة ٦٧٥ هـ. اصابه بدمشق قونج عظيم فعالجه الاطباء بادوية اخذت له من مارستان نور الدين الشهير(١) فبرأ وركب حتى شاهد المارستان فاعجب به ونذر ان اتاه الله الملك ان يبني مارستاناً. فلما كان له ذلك قام بوفاء نذره. ففي سنة ٦٨٣ هـ. اختار

(١) راجع صفحة ٢٤

دار القبطية وعوض اهلها عنها دار الزمرّد وولى الامير علم الدين سنجر

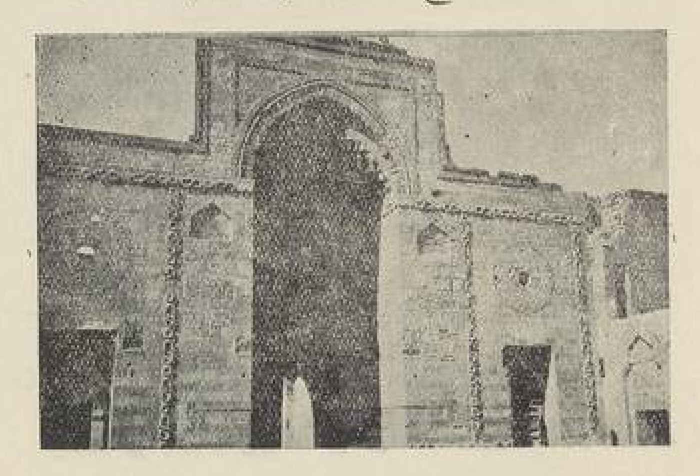


انقاض المارستان المنصوري وراء جامع المنصور بن قلاوون

السجاعي امر عمارته فاتم هذا العمل بمدة احد عشر شهراً وايام · ووقف عليه المنصور من الاملاك بديار مصر وغيرها ما يقارب الف درهم في كل سنة · ثم استدعى قدحاً من شراب المارستان وشربه وقال قد وقفت هذا على مثلي فمن دوني وجعله وقفاً على الملك والمملوك والجندي والامير والكبير والصغير والحر والعبد الذكور والاناث · ورتب فيه العقاقير والاطباء وسائر ما يحتاج اليه من به مرض من الامراض · وافرد لكل طائفة من المرض موضعاً · فجعل اواوين المارستان الاربعة للمرضى بالحميات ونحوها وافرد قاعة للرمدى وقاعة للجرحى وقاعة لمن به اسهال وقاعة للنساء ومكاناً للمبردين ينقسم قسمين قسم للرجال وقسم للنساء · وجعل الماء يجري في جميع هذه الاماكن

وافرد مكاناً لطبخ الطعام و الادوية والاشربة ومكاناً لتركيب المعاجين والاكحال والشيافات ونحوها. ومواضع يخزن فيها الحواصل وجعل مكاناً يفرّق فيه الاشربة والادوية ومكاناً يجلس فيه رئيس الاطباء لالقاء دروس الطب. ولم يحصِ عدة المرضى بل جعله سبيلاً لكل من يرد عليه من غنيّ وفقير. وجعل النظر فيه لنفسه ايام حياته ثم من بعده لاولاده ثم من بعدهم لحاكم المسلمين الشافعي (١). ولا تزال آثار هذا المعهد باقية الى يومنا هذا. وقد شيد حديثاً مستشفى رمدى على انقاضه.

المارستان المؤيدي. (٢) انشأه المؤيد شيخ في سنة ٨٢١ هـ. وعملت مصاريفه من جملة اوقاف الجامع المؤيدي المجاور لباب زويلة. فلما مات الملك



الجامع المؤيدي امام المارستان المؤيدي الذي بقرب القلعة

(١) المقريزي ٢: ٤٠٦ (٢) راجع صفحة ٢٣

المؤيد تعطل ثم سكنه طائفة من العجم وبعده صار منزلاً للرسل الواردين



انقاض المارستان المؤيدي وراء الجامع المؤيدي

من البلاد الى السلطان (١) . ومركز هذا المارستان في الجهة الشمالية الغربية من القلعة ويعرفه العامة بـ «البارستان» . ولجنة الاثار المصرية جادة اليوم في الكشف عن هذا الاثر وترميمه .

مارستانات بغداد

مارستان هرون الرشيد . عمر هرون الرشيد اول مارستان في بغداد وعهد بادارته الى يوحنا بن ماسويه (٢)

(١) المقريزي ٢ : ٤٠٨ (٢) ابن ابي اصيبعة ١ : ١٧٥

المارستان المقتدري · كان يديره سنان بن ثابت · وروي انه قد جرى غلط في المارستان على رجل من العامة من بعض الاطباء فمات الرجل فامر المقتدر ابرهيم بن محمود بن بطحا بمنع سائر المتطببين من التطبيب الا من امتحنه سنان بن ثابت واذنه بذلك · فصار الاطباء الى سنان واذن لكل منهم ما يصلح ان يمتهنه في الطب وكان عددهم ينيف على الثمانماية وستين رجلاً سوى من استغنى عن امتحانه لاشتهاره في صناعة الطب · ومن ذلك الزمن لم يتح لاحد ان يمتهن الطب الا بعد الفحص والتصريح له بذلك(١) ·

المارستان العضدي · كان هذا المارستان من اشهر المعاهد الطبية في القرن الثالث على زمن عضد الدولة وقد حظي برئآسة الرازي كذلك · وقد قصد عضد الدولة ان يكون فيه جماعة من افاضل الاطباء فامر ان يحضروا اليه الاطباء المشهورين بغداد واعمالها فكانوا يزيدون عن المئة فاختار منهم نحو خمسين وامتحنهم في صناعة الطب فكان الرازي منهم ثم انه اقتصر من هوءلاء على عشرة فكان الرازي منهم ثم انه اختار من العشرة ثلاثة فكان الرازي احدهم · ثم انه ميز فيما بينهم فبان له ان الرازي افضلهم فجعله رئيساً عليه(٢)

مارستان الحربية · انشأه ابو الحسن على بن عيسى الوزير وانفق عليه من ماله وقلده ابا عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي طبيبه مع سائر مارستانات بغداد ومكة والمدينة (٣) ·

(١) ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٢٢ (٢) ابن ابي اصيبعة ١ : ٣١٠ (٣) ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٣٤

وكان في بغداد غير ما ذكر مارستان بدر المعتضدي بالمحرم (١) ومارستان السيدة بسوق يحيى (٢) ومارستان ابن الفرات بدرب المفضل (٣)

مارستان السواد النقال· كثر المرض في السواد في ضواحي بغداد في زمن المقتدر بالله فاهتم بانشاء مارستان نقال يتجول بين اهل السواد لمداواتهم· فكتب وزيره علي بن عيسى بن الجراح الى طبيبه سنان يقول له فكرت في اهل السواد الذين قد تفشى بينهم المرض ولا يشرف عليهم متطبب لخلو السواد من الاطباء فتقدم مدّ الله في عمرك بانفاذ متطببين وخزانة للادوية والاشربة يطوفون بينهم ويقيمون في كل صقع منه مدّة ما تدعو الحاجة اليه ويعالجون من فيه من المرضى ثم ينتقلون الى غيره (٤)·

مارستان ما فارقين· بناه الامير نصير الدولة بن مروان· وكان ذلك ان ابنته مرضت فآلى على نفسه انها اذا برئت ان يتصدق بوزنها دراهم· فعالجها ابو سعيد منصور بن عيسى فصحت· فاشار ابو سعيد على الامير ان ينفق المال في بناء مارستان وكان كذلك وجعل فيه من الالات وجميع ما يحتاج اليه شيئاً كثيراً جداً (٥)·

هذه لمحة وجيزة عن المارستانات العربية اردنا اثباتها هنا برهاناً على ان

(١) ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٢١ (٢) ايضاً ١ : ٢٢٢ (٣) ايضاً ١ : ٢٢٤ (٤) ايضاً ١ : ٢٢٢
(٥) ايضاً ١ : ٢٥٢

العرب لم يكتفوا بالانتاج النظري في العلوم الطبية بل استخدموا علمهم ايضاً في معالجة المريض وتخفيف آلامه·

فبظل الخلفاء وضمن هذا المحيط الراقي وفي جوٍ صافٍ توفرت فيه اسباب التقدم والنجاح عمل الاطباء العرب ودرسوا طب الاوائل وترجموه الى لغتهم ثم انصرفوا الى التأليف والتصنيف وبعد ذلك اخذوا على عاتقهم تعليم الناشئة الجديدة ما اكتسبوه بالجد والكد وطبقوا هذه العلوم على العمل لمرضاهم فبحثوا في علل الامراض وتقلبات اعراضها والتغيرات السريرية التي تطرأ عليها واثبتوا كل ذلك في ملاحظاتهم وتقاريرهم التي وصل الينا بعضها· فهم اذاً لم يكونوا نقلة لصوصاً كما يتهمهم البعض بل هم هم واضعو اسس افضل العلوم واسماها وكفاهم بذلك فخراً ومجداً·

زد على ذلك انهم لم يقفوا عند هذا الحد بل درسوا اللغات المعروفة آنئذٍ كالسريانية والفارسية واليونانية وفي ذلك ما اهلهم لدرس الطب· ثم صرفوا همهم الى الطبيعيات وعلم النباتات والحيوان والفلك والكيمياء والفلسفة· وكانوا يتحلون بكل الصفات التي يجب ان يتصف بها من امتهن هذه المهنة الشريفة كالتقوى والورع والصدق والامانة والاجتهاد وكانت نفوسهم ابداً كبيرة طامحة الى العلى·

موءلفات العرب ومصنفاتهم

كانت موءلفاتهم قيمة مرتبة مبوبة احسن تبويب بعضها مجدولاً والبعض الاخر مزيناً بالصور والاشكال. وكان الموءلفون يذكرون المصادر التي نقلوا عنها بكل دقةٍ وامانة. ويظهر من موءلفاتهم انهم كانوا ذوي نظرٍ ثاقب وبحث عميق واطلاع واسع.

وقد عبثت ايدي الزمن باكثر هذه الموءلفات فلم يصل منها الينا الا النذر القليل. وهذا القليل لم ينل حظه من الدرس الوافي بل لا يزال اكثره مودعاً في المكاتب والمتاحف فلا يمكن تقدير قيمته قبل ان يكشف الدرس عنه الستار. وها نحن نورد فيما يلي كلمة موجزة عن بعض هوءلاء الموءلفين وشيء من موءلفاتهم مراعين بذلك التسلسل التاريخي والموضوعات المختلفة التي الفوا فيها ليكون البحث ذا صلة. واول موضوع نبحثه هو الطب عموماً ثم ننتقل الى اختصاصاته وفروعه. واقدم الذين وصلنا شيء من موءلفاتهم العامة في الطب هم:

ابو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري (١).

وكان مولده ومنشوءه في طبرستان على زمن المعتصم بالله واسلم على

(١) راجع صفحة ١٦

يده وادخله المتوكل بالله في جملة ندمائه فلقبه بمولى امير المؤمنين وكان بموضع من الاداب وهو معلم الرازي وله مؤلفات عديدة في الطب وغيره منها واهمها «فردوس الحكمة (١)» الذي فرغ من تاليفه في السنة الثالثة من خلافة المتوكل اي سنة ٢٣٥ هـ.

وقد اعتنى الدكتور محمد زبير الصديقي مدير الشعبة العربية بجامعة لكنو بنسخ «فردوس الحكمة» وتصحيحه وطبعه معتمداً على النسخ الخطية الموجودة في برلين والمتحف البريطاني ومتحف غوته ونسخة اخرى. خصوصية في حوزة الدكتور كمال الدين وفرغ من عمله هذا سنة ١٩٢٨ م.

والكتاب يقع في سبعة انواع مقسمة على ثلاثين مقالة تحتوي على ثلاثمائة وستين باباً. جمع فيه المؤلف فنون الطب التي عرفت عند العرب ليومه آخذاً عن الطب الهندي واليوناني والعربي. فمن الطب الهندي اخذ عن كتب: شركا(١) وسسروتا (٢) وندانا (٣) واشتنغرادايا(٤) وعن اليونان اخذ عن: تيوفرسطس (٥) وديمقراطيس (٦) ومغنس الحمصي (٧) والاسكندر الفيلسوف (٨) والاسكندر الطواف(٩) وارساجانيس(١٠)

(١) راجع صفحة ١٦

(١) Charaka (٢) Susruta (٣) Nidana (٤) Ashtangahradaya

(٥) Theophrastos (٦) Democritos (٧) Magnus of Emessa

(٨) Alexander the Philosopher (٩) Alexander the Traveller

(١٠) Archigenes

واصطفن (١) وافلاطون وايكزومينوس (٢) وفيثاغورس (٣) وغيرهم واهم من كل ذلك اخذ عن ابقراط وجالينوس كذلك اخذ عن المصادر العربية ومنها موءلفات يوحنا بن ماسويه وحنين بن اسحق وعلي بن عيسى وغيرهم و كان يشير دائماً الى المصادر التي اخذ عنها·

اما النوع الاول من الكتاب فيبحث في الهيولى والصورة والكمية والكيفية والطبائع المفردة والمركبة والاستحالة والفساد وفي كون الاشياء من الطبائع وفعل الفلك والنيرات فيها وفي كون الحيوانات البريات منها والبحريات والهوائيات و كون اعضائها·

والنوع الثاني يبحث في كون الجنين والحبل والاسقاط والولادة والنفس والعقل والحواس ومزاجات الابدان وتربية الطفل وحفظ الصحة والمزاج وتدبير الاعضاء و تدبير الفصول والاسفار والعساكر·

والنوع الثالث يبحث في علة الاغتذاء والاغذية·

والنوع الرابع يبحث في عدد الامراض العامة وانواعها واسبابها وقانون العلاج وامراض الجسم من الراس الى القدم·

والنوع الخامس في خواص الاشياء وعدد المذاقات وعلل الالوان والجواهر المعدنية والنبت والشجر والثمر·

(١) Stephen (٢) Axominos (٣) Pythagoras

والنوع السادس في الحبوب والبقول والثمار واللحمان والالبان والسمك وغيرها من المأكولات والاشربة. وفي الانسان وغيره من الحيوانات والسموم والترياقات والادوية.

والنوع السابع في البلدان والمياه والرياح وفصول السنة والافلاك والنيرات وفي اخر هذا النوع اورد من جوامع كتب الهند ما يقع في ستة وثلاثين باباً. ومن تصفح الكتاب وانعم النظر فيه وجد ان المؤلف قد تنازعه عاملان هامان طالما اثرا على المؤلفين والمصنفين في عصره. العامل الاول العلم الصحيح المرتكز على البحث والتنقيب والتجربة والعامل الاخر الانفعالات الروحية والنفسانية التي استولت على افكار الكتّاب والمفكرين القدماء فبينما نراهم جادين في دحض هذه الاوهام وتكذيبها نرى من جهة اخرى ان افكارهم لا تزال تتأثر باصابة العين والظلمات التي كانت تنقصهم الجرأة الادبية على تكذيبها وانكارها وان كانوا يعتقدون قلبياً بفسادها.

ابو الحسن ثابت بن قرة

ذكرنا انفاً ترجمة حياة قرة بن ثابت صاحب كتاب «الذخيرة» في علم الطب الذي اعتنى بطبعه الدكتور ج. صبحي بالقاهرة سنة ١٩٢٨

معتمداً على نسخة خطية وجدها في بطركية الاقباط بالقاهرة وظنها الفريدة في بابها ولكن توجد نسخة بحوزة ضيا بك بن عبد الرحمن بك آل ياسين افندي مفتي الموصل وبمكتبتنا نسخة اخرى ناقصة الاول.

قال ثابت في مقدمة كتابه «هذا كتاب الذخيرة الذي يشتمل على ما يحتاج اليه من علم الطب في وصف الداء والدواء على اوجز ما يتهيأ ان يكون تجربة ثابت بن قرة في العلوم الطبيعية. جمعه ايام حياته لابنه (سنان بن ثابت بن قرة) وهو احد وثلاثون باباً» ثم يلي موضوعات الاحد والثلاثين باباً.

ومن تصفح الكتاب وجده مقصراً في مواضيعه وابحاثه عن «فردوس الحكمة». ويظهر ان ابا الحسن لم يطلع على كتاب ابن ربن مع انه كان من معاصريه. وهل ذلك لبعد الشقة فان الاخير كان في طبرستان والاول في بغداد.

ابو بكر محمد بن زكريا الرازي

تلميذ ابن ربن وعلم من اعلام الطب العربي وامام المؤلفين فيه ولد بالري وكان معاصراً لحنين بن اسحق ويقال انه توفي سنة ٣٢٠ هـ. وعمره نحو ثمانين سنة.

كان ذكياً فطناً رؤوفاً بالمرضى مجتهداً في علاجهم وبرئهم بكل وجه

يقدر عليه مواظباً للنظر في غوامض صناعة الطب والكشف عن حقائقها واسرارها. تولى ادارة بيمارستان الري ثم البيمارستان العضدي ببغداد. اشتهر بدروسه السريرية وملاحظاته المدقيقة في وصف الامراض واعراضها والتقلبات السريرية التي تطرأ على المريض. كان محاطاً بنخبة من تلامذته وتلامذة تلامذته الذين كانوا يقفون بين يديه ويتلقون الدروس الطبية عنه بالقرب من اسرة المرضى. وهو اكثر المؤلفين انتاجاً اذ زادت مؤلفاته عن المايتين وثلاثين مجلداً لم يبق منها الا القليل. ومن المعروفة لدينا :

«الحاوي». وهو اكبر مؤلفاته قال ابو الفداء انه يقع في ثلاثين مجلداً لم يذكر ابن النديم منها سوى اثني عشرفقط. ولا يوجد منه نسخة خطية كاملة ولكن توجد نتف في مكاتب الاسكوريال واكسفرد. وهو يقسم الى قسمين الاول في الاقراباذين وقد ترجم الى اللاتينية واعتمد عليه الاوروبيون في مدارسهم في القرون الوسطى وكان سنة ١٣٩٥ م. احد الكتب التسعة التي تألفت منها مكتبة المعهد الطبي بباريز. والقسم الثاني مجموعة تواريخ المرضى الذين كان يعالجهم وملاحظات سريرية عنهم اليك مثالاً منها :

«كان ياتي عبدالله بن سواده حميات مخلطة تنوب مرة في ستة ايام ومرة غباً ومرة ربعا ومرة كل يوم ويتقدمها نافض يسير وكان يبول مرات

كثيرة وحكمت انــه لا يخلو ان تــكون هذه الحميــات تنقلب ربعاً
واما ان يـكون به خرّاج في كلاه فلم يلبث لا مديدة حتى بال مدّة اعلمته
انه لا تعاوده هذه الحميات و كان كذلك . وانما صدّني في اول الامر عن ان
ابتّ القول بان به خراجاً في كلاه ُ انه كان يحم قبل ذلك حمى غب وحميات
اخر . فـكان للظن بان تلك الحمى المخالطة من احتراقات تريد ان تصير ربعاً
موضعاً اقوى . ولم يشكُ اليّ ان قطنه به ثقل معلق منه اذا قام واغفلت انا
ايضاً ان اسأله عنه وقد كان كثرة البول يقوي ظني بالخراج في الـكلى
الا اني كنت لا اعلم ان اباه ايضاً ضعيف المثانة يعتريه هذا الداء وهو ايضاً
قد كان يعتريه في صحته .... ولما بال المدة اكببت عليه بما يدر البول
حتى صفا البول من المدة ثم سقيته بعد ذلك الطين المختوم والـكندر ودم
الاخوين وتخلص من علته وبرأ برءاً تاماً سريعاً في نحوٍ من شهرين و كان
الخراج صغيراً . ودلني على ذلك انه لم يشك اليّ ابتداءً ثقلا في قطنه لـكن
بعد ان بال المدة قلت له هل كنت تجد ذلك قال نعم فلو كان كثيراً لقد
كان يشـكو ذلك وان المدة تنبت سريعاً تدل على صغر الخراج فاما غيري
من الاطباء فانهم كانوا بعد ان بال المدة ايضاً لا يعلمون حالته البتة» (١)

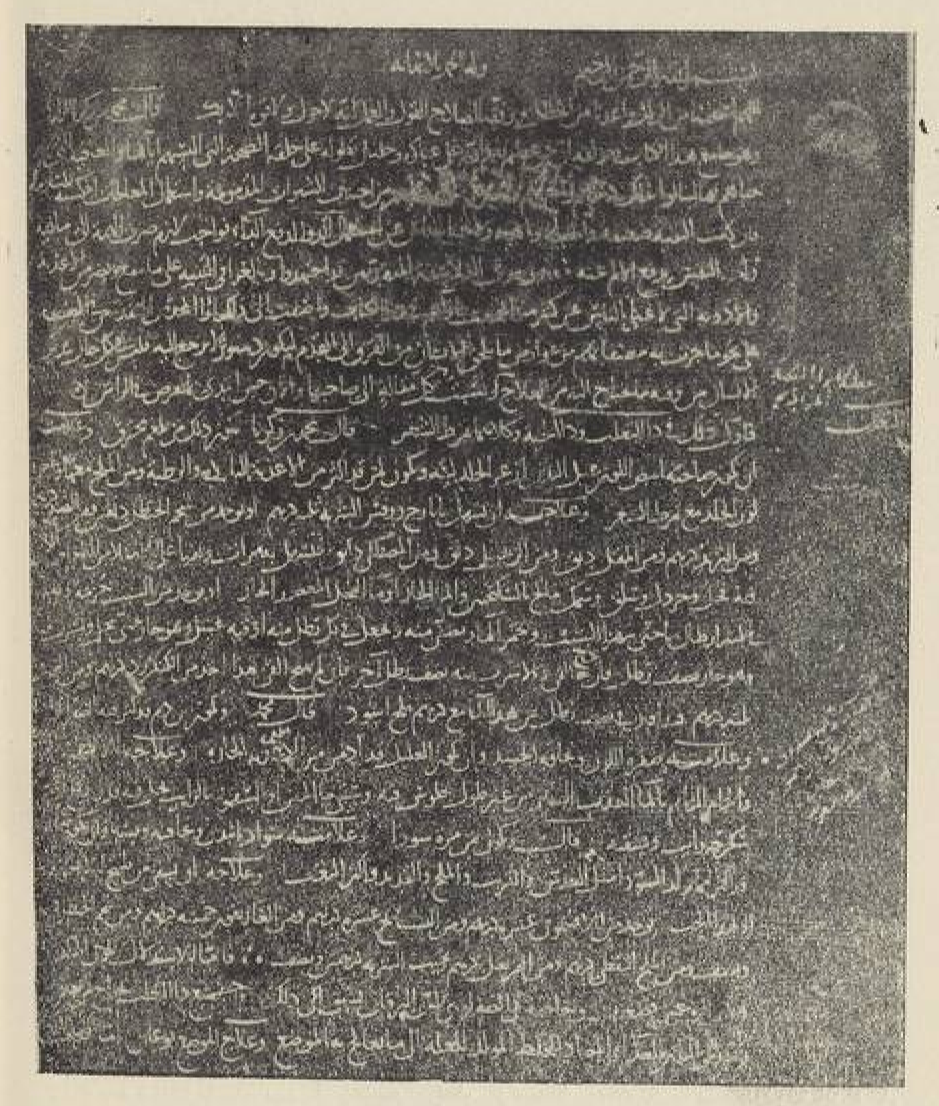
«المنصوري» . الفه الى المنصور بن اسماعيل صاحب خرسان . ويقع في

(١) Browne, Arabian Medicine p. 51

عشرة مجلدات يحوي اولها وصفاً دقيقاً لتشريح اعضاء الجسم من الرأس الى القدم وهذا اول كتاب للعرب في التشريح وصل الينا (١) بعد ما ترجم عن جالينوس. وقد ترجم المنصوري الى اللاتينية وكان له اهميته في اوروبا الوسطى وبقي يدرس حتى اواخر القرن الخامس عشر. ولكن الاصل العربي لم يطبع بعد الا الجزء الاول الذي طبع مع تشريح علي بن عباس المجوسي وتشريح ابن سينا. ونسخ المنصوري الخطية كثيرة.

«الكناش المعروف بالفاخر» للرازي ايضاً. فيه وصف الامراض من الراس الى القدم. قال المؤلف انه جمع فيه آراء الفلاسفة المتقدمين في انواع الامراض ومعالجاتها بالاغذية والادوية ليكون دستوراً يرجع اليه عند الحاجة. قال «وقد نسبت كل مقالة الى صاحبها» وقد قابلنا ما نقله الرازي مع المصادر التي اخذ عنها فوجدناه ينقل حرفياً بخلاف ابن ربن فانه كان يختصر ما ينقله. واليك بعض المصادر التي اخذ عنها الرازي: ثابت بن قرة سرابيون فولس بختيشوع ديسقوريدوس جالينوس ماسرجويه(٢) ثيادوق حنين بن اسحق اهرن جورجس (بن بختيشوع) الساهر يوحنا بن ماسويه شمعون الطبري فرانيطس بقراط. وهذا يدل على سعة اطلاعه واجتهاده. والكتاب لم يطبع بعد ونسخه الخطية الكاملة قليلة وقد حظينا بنسخة خطية قديمة جداً.

(١) كتب يوحنا بن ماسويه كتاب في تشريح القرود ولكنه فقد (٢) ولقبه الرازي باليهودي مراراً



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الرازي في الكناش الفاخر

وللرازي ايضاً « كتاب الحصبة والجدري » وهو انفس ما كتب بهذا

الموضوع اتى فيه على تفاصيل اعراض هذه الامراض والتفرقة بينها بجلاء لم يسبقه اليه احد· وقد ترجم الى اللاتينية وغيرها من اللغات الاوروبية وطبع مراراً بالاصل العربي·

وله غير ذلك كتاب «برء الساعة» يقع في بضع صفحات اليك مقدمته وما فيه من النكتة الظريفة·

« كنت عند الوزير الحسين ابي القاسم بن عبيد الله فجرى بحضرته ذكر شيء من الطب وهناك جماعة من الاطباء وفي خدمته جماعة ممن يدعيه فتكلم كل منهم في ذلك بمقدار ما بلغه علمه حتى قال بعضهم ان العلل التي تجتمع من مواد على ممر الايام والشهور وما يكون على هذا السبيل كونه لا يكاد ان يبرء في ساعة واحدة بل يكون في مثل ذلك من الايام والشهور حتى يتم برء العليل· فسمع كلامه جماعة من حضر من المتطببين وكل ذلك يريدون به كثرة الذهاب والمجيء الى المريض واخذ شيء منه· فعرف الوزير ان من العلل ما يجتمع في ايام ويبرء في ساعة واحدة· وقد يكون في شهر ويبرء في ساعة· فعجبوا من ذلك· فسألني الوزير ان اوءلف فيه كتاباً يشتمل على جميع العلل التي تبرأ في ساعة واحدة· فبادرت الى منزلي وعملت هذا الكتاب واجتهدت فيه وسميته برء الساعة· وهو مثل

كتاب السر في الصنعة لان هذا الكتاب هو دستور الطبيب» (١)

ابو الحسن احمد بن محمد الطبري

ضن علينا المؤرخون بترجمة وافية لابي الحسن فاكتفى ابن ابي اصيبعة (٢) بالقول انه كان طبيب الامير ركن الدولة ولم يأت القفطي على ذكره ولكن احد المستشرقين (٣) يذكر انه عاش بين سنة ٣٢٠ وسنة ٣٦٦ هـ. وهذا هو نفس التاريخ الذي ملك فيه ركن الدولة(٤) واهمية هذا المؤلف تظهر لمن طالع كناشه الذي سماه «المعالجات الابقراطية» الذي قال فيه ابن ابي اصيبعة انه من اجل الكتب وانفعها ونحن نقر ابن ابي اصيبعة على هذا التقريظ. وقد استقصى فيه المؤلف ذكر الامراض ومداواتها واليك ما قال في مقدمته :

«حضرتني نية مقرونة بالثقة في ان اصنف كناشاً مشروحاً اسلك فيه سبيل بقراط في صحة المعالجة واصف علة علة واقسمها قسمة .... ثم اصف مداواة كل مرض عند ابتدائه وتزيده وانتهائه وانحطاطه وابين مواضع التغيرات التي تدخل وعلاماتها .... وأقرن كل مداواة بالقوانين اللازمة

(١) عن نسخة خطية في مكتبة المؤلف (٢) ابن ابي اصيبعة ١ : ٣٢١

(٣) Brockelmann, Gèsh. der Arab. Litteratur I: 375

(٤) تاريخ دول الاسلام فصل ١٨٢

لها وابين كيف يجب ان يبحث الطبيب عن السبب السابق والسبب البادي والسبب الواصل عندما يريد استخراج معرفة جنس العلة ونوعها وابين الادوية التي تصلح لمداواة كل علة ومقدارها والاوقات التي يستعمل فيها واجعله جامعاً للعلم التام حتى لا يغلط احد ممن ينظر فيه او يداوى منه..... واسميه « المعالجات الابقراطية» واجعله عشر مقالات.

المقالة الاولى في الفصول التي لا يستغني الطبيب الذي ليس بفيلسوف عن معرفتها وهي خمسون فصلاً.

المقالة الثانية في الاعلال التي تحدث في جلدة الوجه واجعلها خمسة وثلاثين باباً.

المقالة الثالثة في الاعلال التي تحدث في الاعضاء الباطنة من الراس وهي ثلاثة واربعون باباً.

المقالة الرابعة في اعلال العين وذكر طبقاتها ومنافعها وخلقتها واختلاف المشرحين فيها وهي اربعة وخمسون باباً.

المقالة الخامسة في الاعلال التي تحدث في الانف والاذنين وهي تكون ثلاثة وثلاثين باباً.

المقالة السادسة في الاعلال التي تحدث في الفم والاسنان والعمور

واللسان واللهوات والحلق والرقبة وهي تكون ثمانية وخمسين باباً.

المقالة السابعة في اعلال جلدة البدن وهي ستون باباً.

المقالة الثامنة في اعلال الصدر والرئة والغشا والحجاب وسائر الات التنفس والقلب وعلاجه وهي ثلاثة وثلاثون باباً.

المقالة التاسعة في وصف المعدة ووضعها ومنفعتها وخلقتها واجناس اعلالها وعلاجات جميع ذلك وهي اثنان وخمسون باباً.

المقالة العاشرة في امراض الكبد والطحال والامعا وذكر خلقتها ووضعها ومنفعتها وهي تسعة واربعون باباً.

لم يتبع ابو الحسن الخطة التي اتبعها اسلافه كابن ربن الطبري والرازي المار ذكرهما بتعيين المصادر التي اخذ عنها. ولكن مع كل ذلك فان الكتاب جامع حافل بالموضوعات القيمة يمكن ان يحسب بمصاف «فردوس الحكمة» «وكناش الرازي الفاخر» بلا نزاع. وعسى ان يوفق بعض ذوي الهمم والنشاط لتحريره ونشره. ومما يزيده اهمية واعتباراً ان نجيب الدين السمرقندي اعتمد عليه فيما اعتمد من الكتب عندما الف كتابه المعروف «بالاسباب والعلامات» (١)

(١) ابن ابي اصيبعة ٢: ٢٣١

علي بن العباس المجوسي

كانت حاله كحال ابي الحسن من حيث تقصير التاريخ عن ترجمته فكل ما قاله ابن ابي اصيبعة (١) هو ان المجوسي من الاهواز وكان طبيباً مجيداً متميزاً في صناعة الطب وقد اشتغل بصناعة الطب على ابي ماهر موسى بن سيار وتتلمذ له وهو الذي صنف الكتاب المشهور الذي يعرف بالملكي للملك عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة. فيكون اذاً علي بن العباس قد عاش في القرن الرابع بعد الرازي بمدة قصيرة لانه ذكر اسم الرازي ومؤلفاته في مقدمة كتابه.

اما كتابه «الملكي» ويعرف «بكامل الصناعة الطبية» فهو تحفة نفيسة جداً واثر جليل من الاثار العربية التي وصلت لنا من القرن الرابع. وهو بترتيبه وتبويبه اقرب الى الكتب الطبية الحديثة من سواه مما اتى قبله او بعده وبنظري انه افضل ما الفه العرب في العلوم الطبية بلا استثناء. فهو كما يدل عليه عنوانه كامل في وضعه وموضوعه شامل لعلم الطب وعمله. قسمه المؤلف الى عشرين مقالة وكل مقالة الى ابواب. وقد طبع بالاصل العربي في بولاق فنحيل المطالع اليه ونكتفي هنا بايراد بعض المصادر التي ذكرها في مقدمته واطلع عليها قبل تاليفه. فمنها كتب ابقراط وجالينوس واريباسيوس

(١) ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٣٦

وفولس الاجنطي واهرن ويوحنا بن سرافيون ومسيح والرازي. وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية وكان يعتمد عليه في المدارس الاوروبية في القرون الوسطى.

ابو منصور الحسن بن نوح القمري

استاذ الرئيس ابن سينا ومعلمه قال فيه ابن ابي اصيبعة انه كان سيد وقته واوحد زمانه مشهوراً بالجودة في صناعة الطب محمود الطريقة في اعمالها فاضلاً في اصولها وفروعها وكان حسن المعالجة جيد المداواة وله كناش حسن في الطب سماه «غنى ومنى». وهذا الكتاب لم يطبع ولكن نسخه الخطية كثيرة وهو كما سبقه من الكتب مجموع من اقوال المتقدمين كابقراط وجالينوس وماسرجويه ومسيح وفولس الاجنطي والرازي وغيرهم ولم نجد فيه ما يميزه عما سبقه.

ابو علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا

اشهر من ان يعرف ترجمة الكثيرون من متقدمين ومتأخرين. ومن اجود التراجم التي لابن خلكان وابن ابي اصيبعة.

لابن سينا فضل عظيم في خدمة الثقافة العربية وله موءلفات عديدة في سائر الفنون كاللغة والدين وعلم النفس والفقه والطبيعيات والحيوان والنبات والموسيقى والفلك والمنطق وغير ذلك فاي علم لم يوءلف فيه ولم يملك ناصيته.

وفوق ذلك فانه كان شاعراً مجيداً وله القصيدة المشهورة في النفس مطلعها ·

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وله ارجوزة قيمة جمع فيها الطب في ١٣١٤ بيتاً نقتطف منها ما قاله في علاج الكسر ·

«وكل ما تحدثه من صنع في العظم مثل الكسر او كالخلع
وكل ما تطبه من كسر فانما علاجه بالجبر
ردّ الشظايا فيه حتى تنطبع ونشر ما ينخزها فتتجع
وشدّهُ بصفة حكمية لا ضاغطا فيها ولا مرخية
عصائب يبدا بها من الوسط ثم يزاد الشد حتى ترتبط
من فوقها رفائد ملفوفة من فوقها جبائر مصفوفة
ولطفن غذاءه في الاول وكثفنه آخراً كي يمتلي
واحذر عليه اولاً من ورم سخن لما ينصب فيها من دم
اردعه ما استطعت حتى تمنعه بكل بارد لكي ما تدفعه
وامنعه من تحركٍ كي يبرا والزمه في طول السكون الصبرا»(١)

واكبر موءلفات ابن سينا واهمها القانون في الطب الذي ذاع سيطه في افاق العالم الطبي ونال شهرة وانتشاراً واسعاً وحظاً وافراً ولا يزال

(١) عن مخطوطة بمكتبة المؤلف

موضوع اهتمام الكثيرين الى يومنا هذا وقد كثرت شروحه ومختصراته(١) ولكنه مع شهرته يقصر بالترتيب والمادة عن كامل الصناعة للمجوسي الذي مرّ الكلام عنه. وترجم القانون الى اللاتينية و كان يدرس في جامعتي مونبيلية ولوفان الى اواسط القرن السابع عشر مسيحي. وقد شرع كرونر بترجمته الى الانكليزية وانجز الكتاب الاول منه. وقد طبع القانون باللغة العربية ثلاث طبعات. الاولى في رومية سنة ١٥٩٣ م والثانية في بولاق سنة ١٢٩٤ هـ. والثالثة في الهند سنة ١٣٢٣هـ.

ابو القاسم خلف بن العباس الزهراوي

اختلفت الاراء في الزمن الذي عاش فيه الزهراوي ورجح البعض انه كان في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر وهو ابن محمد بن عبدالله الذي تولى الملك في الاندلس من سنة ٣٠٠—٣٥٠ هـ. لانعلم كثيراً عن تاريخ ابي القاسم ولكنه اشتهر بتأليفه المعروف «بالتصريف لمن عجز عن التأليف» وكل ما ذكر عنه في نفح الطيب جملة نقلها المؤلف عن رسالة ابن حزم حيث قال «وكتب التصريف لابي القاسم خلف بن العباس الزهراوي وقد ادركناه وشاهدناه ولئن قلنا انه لم يؤلف في الطب اجمع منه ولا احسن للقول والعمل في الطبائع لنصدقن» (٢)

(١) انظر كشف الظنون مجلد ٢ ص ٢١٦ و٢١٧ و٥٦٧ (٢) نفح الطيب مجلد ٢ ص ١٢٢

فالكتاب دائرة معارف في الطب يحتوي على ثلاثين كتاباً مقسمة الى ثلاثة اقسام. الاول في الطب (١) والثاني في الجراحة (٢) والثالث في الاقراباذين (٣).

اما كتاب الجراحة فهو اطيب ما انتجه العرب في هذا الفن. وهو يبحث في العلاج بالكي وفي الجراحة العامة مع وصف العمليات الجراحية وفي علاج كسر العظام وخلعها وفيه ما ينيف على مئتي شكل للالات الجراحية التي كان يستعملها المؤلف. وقد ترجم الى اللاتينية مراراً واعتمد عليه الاورويون في مدارسهم وطبع اصله العربي في الهند وفي لندن مع ترجمة لاتينية سنة ١٧٧٨ م. وقد اطلعنا على نسخة خطية سقيمة ناقصة الاول والاخر. ومن طالع الكتاب يدرك ان المؤلف كان جراحاً ماهراً ذا خبرة واسعة حصلها من ممارسة فنه وملاحظة سير مرضاه ومرضى معاصريه من الاطباء ومن اتى قبلهم. نضرب لذلك مثلا وصفه معالجة السرطان كما هو وارد في الفن المابة والحادي عشر من كتابه حيث قال «في علاج السرطان وكيف السبيل الى علاجه بالادوية والتحذير من علاجه بالحديد لئلا يتقرح. وقد ذكرنا السرطان المتولد في الرحم والتحذير من علاجه. ذكر الاوائل انه متى كان السرطان في موضع لا يمكن استئصاله كله ولا سيما

(١) يوجد من هذا القسم نسخة بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة احمد تيمور باشا (٢) يوجد منه نسخة خطية ناقصة الاول والاخر في المتحف الوطني بدمشق (٣) نسخة خطية منه في مكتبة المؤلف

متى قدم وعظم فلا ينبغي ان تقربه فاني ما استطعت ان ابرىء منه احداً ولا رأيت الغير والكل كذلك. اما اذا كان مركزه حيث يمكن اخراجه كالذي في الثدي او في الفخذ ونحوهما من الاعضاء ولا سيما اذا كان مبتدياً صغيراً فالعمل فيه ان نسهل العليل مرات من السوداء ثم نقصده ان كان في العروق امتلاء من دم. ثم ننصب المريض نصبة نتمكن فيها من العمل ثم نلقي في السرطان سنانير التي تصلح له ثم نقوره من كل جهة مع الجلد على استقصاء حتى لا يبقى منه شيء من اصوله. واترك الدم يخرج ولا تقطعه حتى لا يبقى منه شيء من اصوله واترك الدم الغليظ يسيل كله بيدك او بما امكنك من الالات فان عرض في عملك نزف دم عظيم من قطع شريان او وريد فاكوي العرق حتى يقطع ثم عالجه بسائر العقاقير والعلاج والله الشافي» (١).

ألا يخطر لمن قرأ هذا الوصف ان خلف ابن العباس كان من جراحي القرن العشرين لا من اهل القرن الحادي عشر. وهل زاد الطب الحديث شيئاً في معالجة السرطان على ما ذكره ابن العباس. فانه قال بصراحة كلية ان السرطان متى تقدم وعظم فلا ينبغي ان تقربه بالحديد لانه عرف بالاختبار انه في مثل هذه الحالة لا يمكن برؤه. اما اذا كان مبتدئاً صغيراً فالعمل فيه

(١) عن المخطوطة التي في المتحف الوطني بدمشق

ان تقوره مع الجلد من كل جهة على استقصاء حتى لا يبقى منه شيء من اصوله. واهم من كل ذلك اشارته بأن يترك الدم الغليظ يسيل كله حتى لا يبقى من السرطان شيء فكأنه فهم مبدأ انتشار الاورام السرطانية وسروحها. وقد نبه في محل اخر في كتابه الى وجوب معرفة التشريح معرفة تامة لمن تخصص بعلم الجراحة

اتهموا ابن العباس بانه اخذ فنه عن فولس الاجنطي وتناقل الكتاب هذه التهمة بدون روية. ولكن من قابل بين كتاب فولس الاجنطي و كتاب الزهراوي يرى الفرق واضحاً بين الكتابين لا يحتاج الى تبيين. فان فولس نقل عمن سبقه دون ان يضيف الى ما نقله شيئاً من عنده بينما الزهراوي كان يعلق على كل مرض حواشي وملاحظات هامة جداً تدل على سعة اختباره وطول باعه في هذه الفن كما اتضح ذلك من المثل الذي اوردناه. فابو قاسم اذاً هو النطاسي البارع والجراح الخبير الذي يجب ان يعد من فطاحلة الجراحين العرب علماً وعملاً وواضع اسس علم الجراحة الغربية بلا منازع.

هذا قليل من كثير مما انجبه العرب في العلوم الطبية من نوع الموسوعات او المطولات. ويضيق بنا المجال عن التوسع في ايراد ترجمات سائر الاطباء ووصف كتبهم فنكتفي بما ذكر ونشير فقط الى كتاب المئة لابي سهل عيسى بن يحيى المسيحي والشامل لابن النفيس الذي وضع له

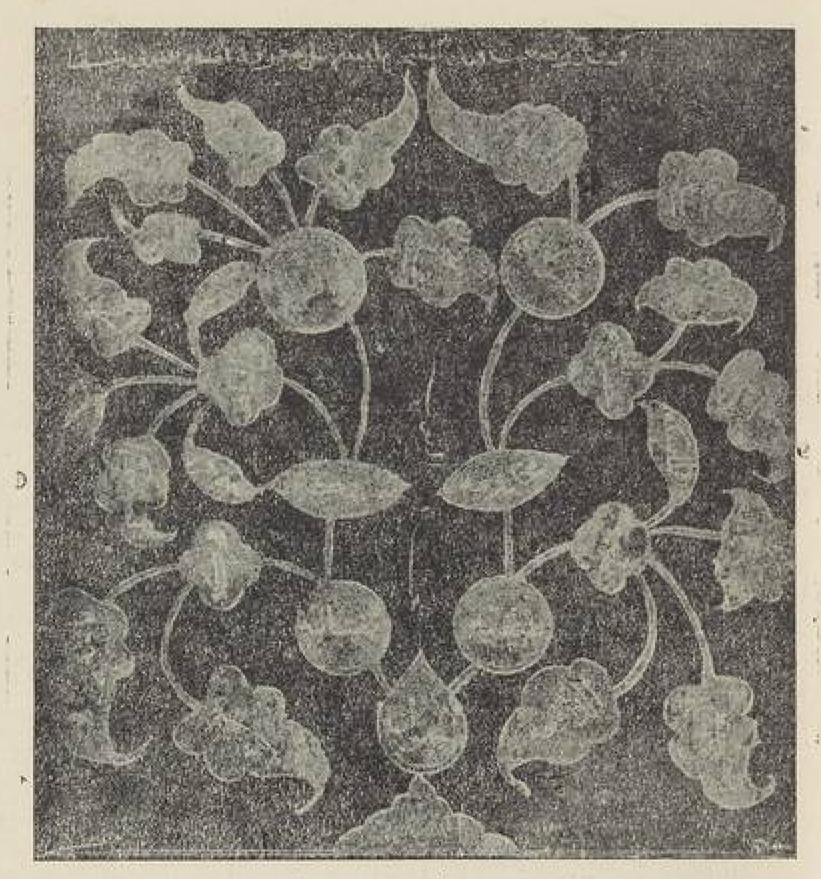
المؤلف فهرست لثلاثماية مجلداً لم يتم منها سوى ثلاثين. وكتاب الزبدة للخوارزمشاهي وتقويم الابدان لابن جزلة وكليات ابن رشد وكثير سواها.

المختصرات الطبية

وهي اكثر من ان تحصى نقتصر على ذكر اهمها وفي مقدمتها موجز القانون لعلاء الدين علي بن ابي الحزم القرشي المعروف بابن النفيس. قال عنه صاحب كشف الظنون (١) «هو كتاب معتبر مفيد وهو خير ما صنف من المختصرات والمطولات اذ هو موجز في الصورة لكنه كامل في الصناعة منهاج للدراية حاوٍ للذخائر النفيسة شامل للقوانين الكلية والقواعد الجزئية جامع لاصول المسائل العملية العلمية» وقد شرحه جملة من الاطباء المجيدين منهم الاقسرائي وسماه حل الموجز والنفيس بن عوض الكرماني ويعرف شرحه بالنفيسي. وهناك ايضاً شرح السويدي وابن شعبان السروري والايجي البلبلي والكازروني والامشاطي والاخير يعرف بالمنجز.
وموجز القانون من الكتب التي كان يعتمد عليها في تدريس الطب ونسخه الخطية عديدة جداً. وقد طبع باللغة العربية في الهند.

ومن المختصرات التي اطلعنا عليها «الحاوي في علم التداوي» لنجم الدين محمود ابن الشيخ صائن الدين الياس الشيرازي وهو غير مطبوع بعد

(١) كشف الظنون ٢ : ٥٦٧



شجرة القوى الطبيعية مأخوذة من المنجز الامشاطي

«والذخيرة» لزين الدين اسماعيل بن حسين الجرجاني لم يطبع . «الصفوة» لصاعد بن هبة الله بن الموءمل الملقب بالمسيحي . «التذكرة» لداود الانطاكي مطبوعة عدة طبعات . «غاية الاتقان في تدبير بدن الانسان» للمولى صالح بن نصر الله الحلبي وهو من عهد متأخر ١٠٨٠ لم يطبع .

وهناك مختصرات ورسائل عديدة لا مجال لذكرها وذلك بقطع النظر عن الشيء الكثير الذي فقد ولم يصل الينا سوى خبره.

كتب الاختصاصات الطبية

في الاغذية والادوية والاقرباذينات. هي اكثر من ان تحصى. نكتفي بذكر اهمها.

«الغاذي والمغتذي» وهو من اقدم ما الف بهذا الموضوع لاحمد بن ابي الاشعث الفه بقلعة برقى سنة ٣٤٨ هـ.(١)

«مفردات ابن البيطار» المعروف بتذكرة ابن البيطار او جامع الادوية والاغذية المفردة لضياء الدين عبدالله ابن احمد المالقي المعروف بابن البيطار(٢) المتوفي سنة ٦٤٢ وقد اخذ اكثره عن كتاب الادوية والحشائش والنباتات لديسقوريدوس (٣) «تذكرة السويدي» للشيخ ابو اسحق ابرهيم بن محمد المعروف بابن طرخان المتوفي سنة ٦٣٠ هـ. وقد اختصر هذا الكتاب الشيخ بدر الدين محمد بن القوصوني.

«اغذية المرضى» لنجيب الدين السمرقندي اعتمد في تاليفه على كتاب المعالجات الابقراطية لابي الحسن محمد الطبري(٤)

(١) ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٤٥ والمتحف البريطاني للمخطوطات العربية نمره ٢٦٠٠ (٢) مطبوع (٣) Dioscorides (٤) راجع ص٤٨

«منهاج الدكان ودستور الاعيان» لابي المنى ابن ابي النصر العطار الاسرائيلي(١) «المنجح في التداوي من صنوف الامراض والشكاوي» لابي سعيد ابراهيم الصقلي (٢) وقد الف في نفس الموضوع كل من ابن الحوافر وابن سمحون وموفق الدين عبد اللطيف البغدادي والشيخ ابي الفضل ابن المهندس و كثير سواهم.

في امراض العين. اهمها كتاب حنين بن اسحق المعروف «بالعشر مقالات في العين» الذي اعتنى بطبعه باللغة العربية مع ترجمة انكليزية البحاثة الدكتور مايرهوف سنة ١٩٢٨ م. معتمداً في ذلك على نسختين خطيتين الواحدة موجودة في لنينجراد وهي النسخة التي اهداها مثلث الرحمات البطريرك غريغوريوس حداد البطريرك الارثوذكسي الى قيصر روسيا الاخير. والنسخة الثانية موجودة بدار الكتب المصرية بمجموعة احمد تيمور باشا.

«تذكرة الكحالين» لعلي بن عيسى موءلف قيم يقسم الى ثلاثة كتب عني بترجمته الى الالمانية هارشبارج ولبارت(٣)

«كتاب دغل العين» لابي زكريا يوحنا بن ماسويه «كتاب

---

(١) مطبوع (٢) ذكره الدكتور احمد بك شريف في كتابه وورد في كشف الظنون ٢ : ١٧٢ تحت اسم «فتح في التداوي من جميع الامراض والشكاوي (٣) J.Hirschberg und J.Lippert

«طب العين» لجبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع.

وعني العرب بطب العيون والكحالة في الجاهلية و كثر المتخصصون في هذا الفن واول من ذُكر منهم زينب طبيبة بني أود.

وفيها قال ابو سماك:

أمخترمي ريبُ المنون ولم ازر طبيب بني اود على النأي زينبا

علم التشريح. اتهم العرب بانهم لم يدرسوا التشريح ولم يعرفوا شيئاً عنه ولذلك لم يتقدم الطب عندهم. فهذا بعيد عن الحقيقة لان العرب قد الفوا في التشريح كتب عديدة ولنا ادلة واضحة على انهم اعتنوا بهذا الفن اعتناءً عظيماً فاول من الف فيه يوحنا بن ماسويه موءلفاً اهداه الى المعتصم بالله واعتمد في وضعه على تشريح قرد كان يربيه لهذه الغاية

وقد خصص الرازي الجزء الاول من كتابه المنصوري لوصف اعضاء الجسم من الرأس الى القدم و كذلك علي بن العباس في كتابه الكامل وابن سينا في قانونه

ذكر عبد اللطيف البغدادي في كتابه «الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر»(١) ما يأتي.

(١) صفحة ٦١

«ومن عجيب ما شاهدنا ان جماعة ممن بيننا بني في الطب وصلوا الى كتاب التشريح فكان يعسر افهامهم وفهمهم لقصور القول عن العيان فأُخبرنا ان بالمقس تلاً عليه رمم كثيرة فخرجنا اليه ... فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها واوضاعها ما افادنا علماً لا نستفيده من الكتب اما انها سكتت عنها او لا يفي لفظها بالدلالة عليه او يكون ما شاهدناه مخالفاً لما قيل فيها والحس اقوى دليلاً من السمع. فان جالينوس وان كان في الدرجة العليا من التحري والتحفظ فيما يباشره ويحكيه فان الحس اصدق منه .... فمن ذلك عظم الفلك الاسفل فان جالينوس قد اطبق على انه عظمان بمفصل وثيق عند الحنك.... والذي شاهدناه من حال هذا العضو انه عظم واحد. ليس فيه مفصل ولا درز اصلا واعتبرناه ما شاء الله من المرات في ما يزيد على الفي جمجمة باصناف من الاعتبارات فلم نجده الا عظماً واحداً من كل وجه».

افلا يكفي ذلك برهاناً على ان العرب كانوا منكبين على البحث والتنقيب للوصول الى الحقيقة في امور التشريح ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً.

وفي القرن السابع هجري شرح ابن النفيس تشريح قانون ابن سينا في كتاب سماه «شرح تشريح القانون» ذكر فيه الدورة الدموية الصغرى (الدورة الدموية في الرئة) وشرحها شرحاً دقيقاً مسهباً ابان فيه غلط جالينوس

الدورة الدموية الصغرى
كما وردت في كتاب ابن النفيس

الذي قال بوجود مسام دقيقة يخرج بواسطتها الدم من تجويف القلب الايمن الى تجويف القلب الايسر. واثبت ان الدم يصل من تجويف القلب الايمن الى الرئة حيث يمتزج بالهواء ومن الرئة يصل الى تجويف القلب الايسر واليك ما قاله بهذا الصدد بالحرف الواحد (١)

«ولكن ليس بينهما منفذ (اي بين تجويف القلب الايمن والتجويف الايسر) فان جرم القلب هناك مصمت ليس فيه منفذ ظاهر كما ظنه جماعة ولا منفذ غير ظاهر يصلح لنفوذ هذا الدم كما ظنه جالينوس. فان مسام القلب هناك مستحصفة وجرمه غليظ فلا بد وان يكون هذا الدم اذا لطف نفد في الوريد الشرياني الى الرئة لينبث في جرمها ويخالط الهواء ويتصفى الطف ما فيه وينفذ الى الشريان الوريدي ليوصله الى التجويف الايسر من تجويفي القلب وقد خالط الهواء وصلح لان يتولد منه الروح».

هذا اثر من مآثر العرب في علم التشريح يعود الفضل في اكتشافه لابن النفيس وذلك في القرن الثالث عشر مسيحي وقد تسرب هذا الاكتشاف مع ما تسرب الى الغرب فقام نفر من الافرنج في القرن السادس عشر واذاعوا بانهم هم اول من اكتشف ذلك وتنازعوا على الاولية فيما بينهم.

الجراحة. اول من كتب في هذا الفن علي بن العباس المجوسي في كتابه

(١) من مخطوطة بمكتبة المؤلف

الملكي وقد مرّ الكلام عنه. وبنفس الزمن تقريباً قام ابو قاسم خلف بن العباس الزهراوي والف كتابه المشهور المار ذكره. وبعد هؤلاء نبغ ابو الفرج بن القف النصراني الكركي والف كتاباً في الجراحة سماه العمدة في صناعة الجراح وهو عشرون مقالة علم وعمل. وقد اعتمد ابن القف في تأليفه على كتابي الملكي والتصريف واخذ منها شيئاً كثيراً. وقد كان فن الجراحة راقياً عند العرب خلافاً لما يظنه بعض الكتبة المتسرعين في الحكم.

تاريخ الطب العربي. يعود الفضل في تخليد ذكر الاطباء العرب وما ثرهم في العلوم الطبية الى المؤرخ البعيد النظر الطبيب الفاضل والاديب العالم موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم بن خليفة ابن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن ابي اصيبعة صاحب كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء الذي لولاه لما بقي من تاريخ الطب والاطباء العرب اثر يذكر.

وقد جمع في كتابه لمحة من تاريخ الطب عموماً واستطرد الكلام الى ان وصل الى تاريخ الطب عند العرب فترجم لنحو من اربعماية طبيب واورد النكت الطريفة عنهم وذكر كتبهم ومؤلفاتهم وما ثرهم

الخاتمة

هذا قليل من كثير مما كان يعرفه العرب من الطب ولكنه يكفي ليرينا سعة اطلاعهم فيه وفي فروع اختصاصه. فانهم درسوا التشريح وعرفوا وظائف الاعضاء وشخصوا الامراض وانذروا بنتائجها وطبوا لمرضاهم بامانة واخلاص واجروا لهم العمليات الجراحية بكل اتقان. وساعدهم في طبهم معرفتهم الواسعة في سائر العلوم. فهم اول من استخدم المرقد (المخذر) في العمليات الجراحية. وكان لاكتشافاتهم الكيماوية كحامض النتريك والماء الملكي والكحول والكافور والزئبق وغير ذلك من العلاجات اهمية كبرى في علم الاقرباذين وفن تركيب الادوية ووصف العلاجات ولم يحرموا من معرفة واسعة في العلوم الطبيعية كمعرفة العدسيات المقعرة والمحدبة. ولهم مطولات في علم الحيوان والنبات.

وما زالوا يجدون ويعملون في طلب العلم عشرة اجيال كان لهم في اثنائها اتصال دائم بالغرب. فنشروا ثقافتهم وسيطروا على الفكر الاوروبي كل تلك المدة. وكان الطب انئذٍ في اوروبا محصوراً امره بالقسس والحلاقين والدجالين والمشعوذين. فقابل الاوروبيون بين طبهم وطب العرب ورأوا ان الرجحة في كفة العرب فانكبوا على تعلم العلوم العربية. ثم شرعوا بترجمة الكتب العربية الى اللاتينية وجعلوا هذه الترجمات دستوراً

للتلامذة في اوروبا حتى القرن الثامن عشر. ولكنهم لم يكونوا امناء في ترجمتهم بل كانوا ينسخون ما يترجمونه واهم هؤلاء الناسخين قسطنطين الافريقي الذي ترجم كثيراً من الكتب الطبية وانتحلها.

وقد فاقت الترجمات العربية الترجمات اللاتينية كثيراً. فان اللغة العربية نظراً لمرونتها وسعتها وسهولة اشتقاقها لانت للمترجمين الذين اذا ما وقعت لهم كلمة اجنبية عن اللغة استعربوها او اشتقوا لها كلمة عربية مناسبة. خذ مثلاً كلمة « Prognostica » فقد ترجموها « بتقدمة المعرفة » و« Dropsy اشتقوا لها كلمة «استسقاء» من سقى و كلمة «Hemi Crania» وضعوا لها كلمة «شقيقة» وقس عليه. بينما الافرنج كانوا ينقلون الكلمة العربية الى اللاتينية بلفظها العربي دون او يفهموا معناها. مثل ترجمتهم « عصعص Usus » و«صداع Sada » فلذلك كانت ترجماتهم سخيفة يصعب فهمها.

وقد كانت الاندلس انهل الموارد التي استقى منها العرب. فالثقافة العربية كانت منتشرة فيها انتشاراً عظيماً و كان لليهود الذين اكرمهم العرب اكبر تأثير في نقل علوم العرب الى اوروبا. وكان المستعربون وطلاب العلم يردون من اوروبا افواجاً ليرتووا من بحر علوم العرب وفلسفتهم. ومن جملتهم البابا سيلفستر الثاني في القرن الحادي عشر مسيحي الذي درس العلوم

العربية والفلسفة في اسبانيا واحلّ الارقام العربية محل الارقام الرومانية. وفي سنة ١١٣٠ تأسست في طليطلة كلية لترجمة الكتب العربية الى اللاتينية تحت رعاية الاسقف « ريموند » وبعده قام « جيراردي كريمونا » سنة ١١٧٠ فترجم كتب الرازي والزهراوي وابن سينا.

وما كان القرن الخامس عشر حتى بلغ عدد الجامعات في اسبانيا الستة عشرة. فكانت قرطبة بمكتبتها العظيمة موضوع اعجاب الاوروبيين. والقت جامعة اشبيليا دروسها باللغة العربية.

ولم تكن صقلية وجنوبي ايطاليا باقل حظاً من اسبانيا. ففي القرن الحادي عشر تأسست جامعة سالِرنو التي سيطر عليها الفكر العربي مدة قرنين و كان لقسطنطين الافريقي اليد الطولى في ادارتها.

وفي القرن الثالث عشر قام فردريك الثاني ملكاً على جنوبي ايطاليا وصقليا فاصدر مرسوماً بشأن تعليم الطب والترخيص بمزاولته. فترجم «جيرار دي سايونيتا» قانون ابن سينا. وصرفت العناية في جمع الترجمات اللاتينية للكتب العربية التي كثرت في ذلك العصر.

ثم قامت جامعة « باليرمو » و « مونبيليه » وتلاها جامعات « باريز » « وبولونيا » و « اكسفورد » و « بادوا » وغيرها. وعنيت هذه الجامعات

كلها بتدريس العلوم العربية فاثارت في الغرب ثورة فكرية جديدة انارت سبل اوروبا وفتحت امامها ابواب ثروة علمية استفادت منها فائدة عظيمة وهكذا صارت الثقافة العربية اساساً بنيت عليه معالم الثقافة الغربية.

وقد اعتبر بعض الكتاب ان للصليبيين يداً طولى في نقل العلوم الطبية من الشرق الى الغرب. فمع اعترافنا بمساعدتهم البسيطة في هذا الشأن لا نعتقد انه كان لها قيمة عظيمة وذلك لاسباب لا متسع لبحثها هنا.

وما برح العرب مكبين على العمل حتى كبا جواد حظهم ومال نجم سعدهم ففلبوا على امرهم واغار عليهم المغول في الشرق وصلاهم الافرنج حرباً عواناً في الغرب فتزعزع اركان ملكهم وانحط شان ثقافتهم وخبت نار افكارهم و كادت تذهب مدنيتهم وظنّ الناس الا الراسخين في العلم ان العرب قد قضي عليهم وعلى مدنيتهم. وغر- أعداءهم رقادهم فظنوه رقاد الموت ولم يكن الا رقاد الراحة بعد التعب. فاستفاقوا من غفلتهم وبمعونة المتنورين من حكامهم اعادوا مجدهم الغابر. فبالامس كانت نهضة محمد علي باشا المباركة الذي اقام اول مطبعةٍ عربية في الشرق في القطر المصري الشقيق وانشأ مدرسة طبية دعا اليها نطس الاطباء فطبعوا كثيراً من الكتب الطبية العربية واضافوا الى ميراثهم هذا خلاصة الاكتشافات الطبية الحديثة. واليوم يقوم خلفاؤه من بعده بالجهود نفسها.

وفي سوريا وشرق الاردن والعراق وجزيرة العرب والهند تبذل جهودٌ عظيمة بظل امراء البلاد وملوكها في سبيل اعادة مجد الثقافة العربية ومعها الطب العربي والمستقبل كفيل بتحقيق هذه الاماني ان شاءالله .

الدكتور سامي حداد

فهرس

اعلام الناس

مصادر الكتاب

اسم الكتاب	اسم المؤلف	اسم المطبعة
الافادة والاعتبار	لعبد اللطيف البغدادي	وادي النيل ١٢٨٦ هـ
الانتصار لواسطة عقد الامصار	لابن دقماق	بولاق ١٣٠٩ هـ
بلوغ الارب في معرفة احوال العرب	لمحمد شكري الالوسي	الرحمانية ١٣٤٢ هـ
تاريخ بن خلدون	لعبد الرحمن بن خلدون	بولاق ١٢٨٤ هـ
تاريخ اداب اللغة العربية	لجرجي زيدان	الهلال ١٩٣١ م
تاريخ الامم والملوك	للطبري	الحسينية
تاريخ التمدن الاسلامي	لجرجي زيدان	الهلال ١٩٢٢ م
تاريخ الحكماء	لابن القفطي	ليبسك ١٣٢٠ هـ
تاريخ دول الاسلام	لرزق الله منقريوس	الهلال ١٣٢٥ هـ
تاريخ الكامل	لابن الاثير الجزري	الازهرية ١٣٠١ هـ
تاريخ مختصر الدول	لابن العبري	الكاثولوكية ١٨٩٠ هـ
الخطط والاثار	للمقريزي	المعهد الفرنسي ٩١١ـ٩٢٨م
خطط الشام	لمحمد كرد علي	الحديثة ١٣٤٣ هـ
الذخيرة	لثابت بن قرة (لصبحي)	الاميرية ١٩٢٨ م
رحلة ابن جبير	لابن جبير	
رسالة الطب العربي	للدكتور زكي علي	دار كتب المصرية ١٣٥٠ هـ
صبح الاعشى	للقلقشندي	الاميرية ١٣٣١ هـ
العشر مقالات في العين	لحنين بن اسحق (لمايرهوف)	الاميرية ١٩٢٨ م
العقد الفريد	لابن عبد ربه	الازهرية ١٣٤٦ هـ

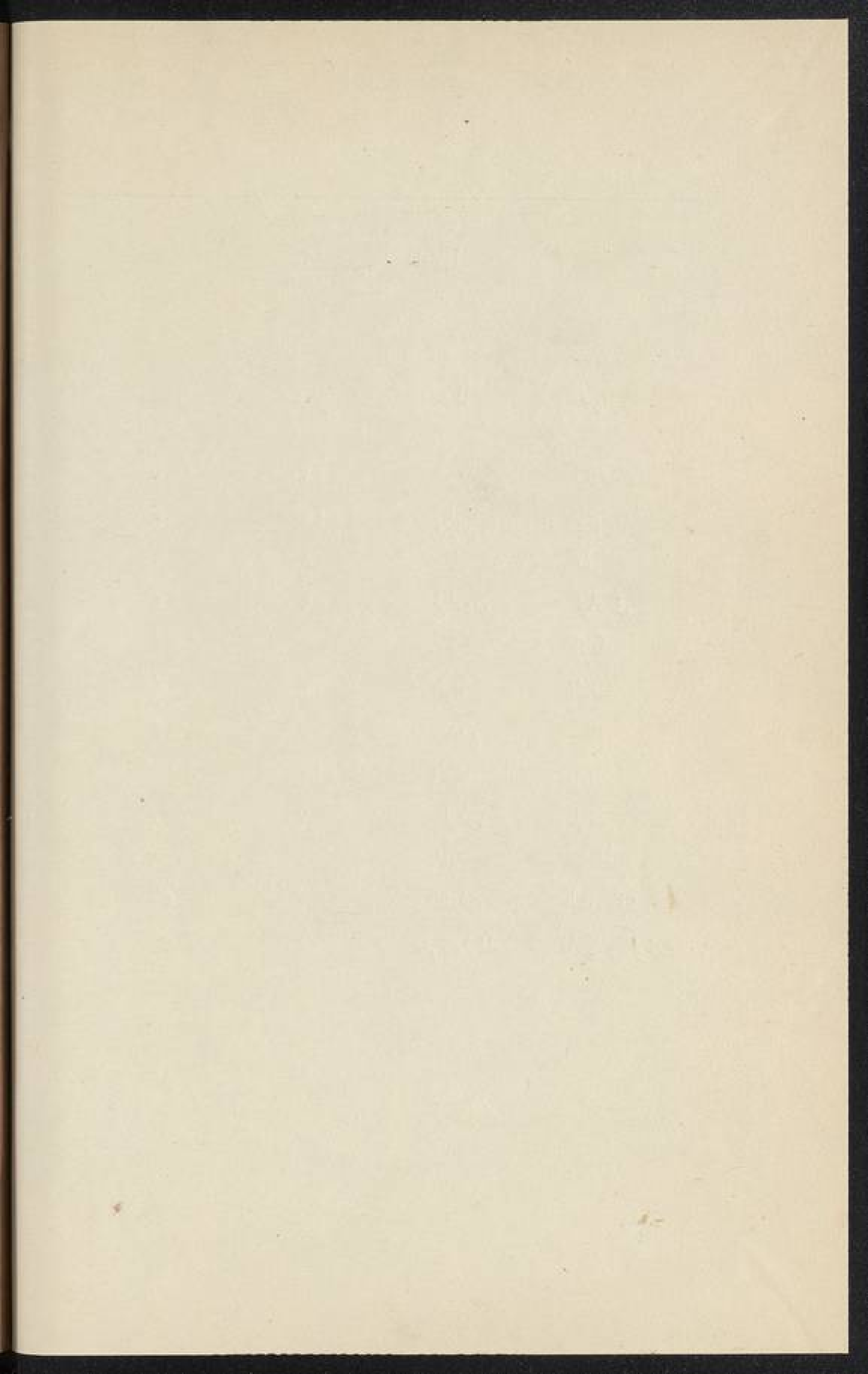
عيون الانباء في طبقات الاطباء	لابن ابي اصيبعة	الوهبية ١٢٩٩ هـ
فردوس الحكمة	لابن ربن الطبري (لصديقي)	بارلين ١٩٢٨ م
الفهرست	لابن النديم	الرحمانية
كامل الصناعة الطبية	لعلي بن عباس المجوسي	بولاق
نفح الطيب	للمقري	الازهرية ١٣٠٢ هـ
وفيات الاعيان	لابن خلكان	

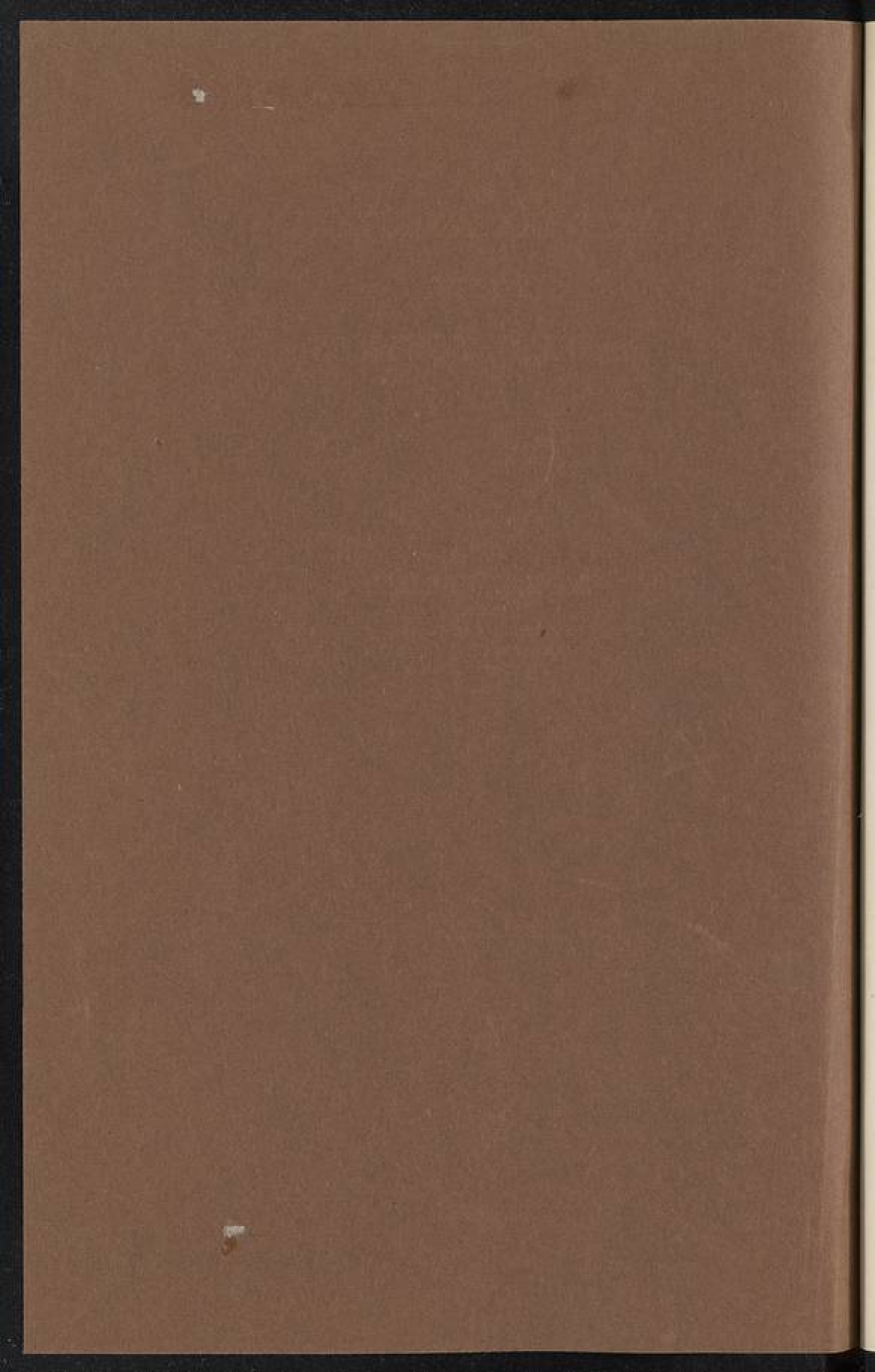
وكتب افرنجية من انكليزية وافرنسية والمانية

ومجموعة مخطوطات عربية بمكتبة المؤلف

تصحيح خطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	١١	العرب	الغرب
٥	١١	يظهر	بينهم
٦	٩	والى	الى
١٢	٩	ثيادون	ثيادوق
١٤	٢	كل	كلفاً
١٤	١٠	الوفاً	الوف
١٨	١	وخدم	خدم
٢٣	١٧	التلة	...
٣٢	٧	المرض	المرضى
٣٩	١	بالله	على الله
٤١	١١	الظلمات	الطلمسات
٤١	١٥	قرة بن ثابت	ثابت بن قرة





ARAB CONTRIBUTION

TO THE

MEDICAL SCIENCES

BY

SAMI I. HADDAD

M. D.

FELLOW OF THE AMERICAN COLLEGE OF SURGEONS

ASSOCIATE PROFESSOR OF SURGERY

AMERICAN UNIVERSITY

BEIRUT

FIRST EDITION ILLUSTRATED

Imp. Rihani

